العنوان:	المستشرقة "كارين آرمسترونغ" وموقفها من الإسلام
المصدر:	مجلة القراءة والمعرفة
الناشر:	جامعة عين شمس - كلية التربية - الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة
المؤلف الرئيسي:	اليزيدي، أروى بنت على بن محمد
المجلد/العدد:	ع199
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2018
الشهر:	مايو
الصفحات:	35 - 103
رقم MD:	882630
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	الدراسات الاستشراقية، آرمسترونج، كارين، الثقافة الإسلامية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/882630

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA
اليزيدي، أروى بنت على بن محمد. (2018). المستشرقة "كارين آرمسترونغ" وموقفها من الإسلام.مجلة القراءة والمعرفة، ع199، 35 - 103. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/882630

إسلوب MLA
اليزيدي، أروى بنت على بن محمد. "المستشرقة "كارين آرمسترونغ" وموقفها من الإسلام." مجلة القراءة والمعرفةع199 (2018): 35 - 103. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/882630

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

المستشرقة (كارين آرمسترونغ) وموقفها من الإسلام

أروى بنت علي بن محمد اليزيدي

ملخص البحث

هذا ملخص ما احتواه البحث الذي موضوعه (**المستشرقة كارين آرمسترونغ وموقفها من الإسلام**) بحث تكميلي لمادة الدراسات الاستشراقية الحديثة ، والمقدم إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية شعبة الثقافة الإسلامية من الطالبة : أروى بنت علي اليزيدي .

تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف الدراسة وحدود الدراسة وتساؤلات البحث ثم بينت منهجي في البحث والدراسات السابقة وخطة البحث ، وقسمت الدراسة إلى أربعة مباحث ، ففي المبحث الأول تحدثت عن المستشرقة كارين آرمسترونغ نشأتها، ومكانتها العلمية ، وأسباب دراستها للأديان ، وأهم مقالاتها ومحاضراتها ومؤلفاتها ، وفي المبحث الثاني تحدثت عن أهمّ كتب آرمسترونغ ، وفي المبحث الثالث تحدثت عن أبرز المقالات التي كتبت عنها ، و في المبحث الرابع تحدثت عن معالم منهجها وآرائها الفكرية .

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، كما نحمده أن أنعم علينا بنعمة الإيمان ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، أما بعد ..

قال الله تعالى : [وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ الله نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ الله كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً](1) .

إن الدين الإسلامي دين العدل والإنصاف ،لذلك يأمرنا الله_ عز وجل_ بإقامة هذا العدل حتى مع أعدائنا ،و لأن الدين الإسلامي خاتم الأديان، ونبيه محمد ρ خاتم الأنبياء، ولما اتصف به هذا الدين من السماحة و الرأفة والعدل والإحسان، استطاع أن يتخلل النفوس ويؤثر على من يتعرف عليه عن قرب، فتوسعت رقعته وانتشر انتشاراً سريعاً ، و مع صمود المنتمين إليه وتغلبهم على أعدائهم ، أدرك أعداء الإسلام أن تمسك المسلمين بدينهم ، وما ينتج عن ذلك من ترابطهم ووحدتهم ومن اندفاعهم إلى الدفاع عنه بكل ما أوتوا من قوة، لذلك أقبلوا جاهدين على دراسة هذا الدين ومحاولة التعرف على علومه ولغته وآدابه حتى يتمكنوا من إدراك الثغرات التي يستطيعون منها مهاجمته والقضاء عليه .

(1)جزء من الآية (58) سورة النساء.

وهنا ظهرت الحركة الاستشراقية التي كان لها دور فعال في صياغة التصورات الغربية المشوهة عن الإسلام ونبيه محمد ρ، إلا أنه يجب أن نضع بعين الاعتبار أن المستشرقين ليسوا على درجة واحدة، من حيث موقفهم من الإسلام والقرآن ورسوله محمد ρ وأمته ، وتعد كارين آرمسترونغ التي هي محط دراستنا في هذا البحث واحدة من أبعد هؤلاء عن التطرف والافتعال ، وفي هذا البحث سنلقي الضوء على هذه الشخصية لمعرفة موقفها من الإسلام ونبيه محمد ρ، من خلال كتابتها عن الإسلام وعن رسوله محمد ρ.

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب دراسته :

لقد اعتبر العالم الغربي أن الإسلام هو العدو الجديد لهم بعد هزيمة الاتحاد السوفيتي ، لذلك عملوا على مهاجمته والطعن فيه وفي بنبيه ρ، ولكن الله- عز وجل- أنطق الحق على ألسنة المنصفين من الغرب الذين حاولوا فهم الإسلام على حقيقته وتقديمه لأبناء جلدتهم ، وكان لزاماً إبراز هذه الجهود التي قام به هؤلاء المعتدلون من الغربيين لمعرفة نظرتهم الموضوعية تجاه الإسلام ونبيه ﷺ .

ثانياً :أهداف الدراسة :

1- التعريف بشخصية غربية معتدلة ، وهي كارين آرمسترونغ ،و محاولة نقل نظرتها الموضوعية عن الإسلام وعن نبيه محمد ρ.

2- إبراز أهم المواضيع التي تطرقت إليها الكاتبة من خلال عرض كتبها التي تحدث فيها عن الإسلام ورسوله ρ.

3- معرفة معالم منهجها و آرائها الفكرية .

ثالثاً : حدود الدراسة :

يمكن تحديد الدراسة بهذا الموضوع في التعرف على شخصية المستشرقة البريطانية آرمسترونغ ، وبيان موقفها من الإسلام ومن نبيه محمد ρ، والتعرف على معالم منهجها و آرائها الفكرية .

رابعاً : تساؤلات الدراسة :

من خلال ما سبق يمكن إثارة التساؤلات الآتية:

1- كيف نشأت آرمسترونغ ؟

2- ما مكانتها العلمية ؟

3- ما أهم مقالاتها ومحاضراتها ؟

4- ما أسباب دراستها للأديان ؟

5- ما أبرز موضوعاتها التي تحدثت عنها في كتابيْها (الإسلام في مرآة الغرب) و(النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام) ؟

6- ما أهم المقالات التي كتبت عنها ؟

7- هل المستشرقة آرمسترونغ أقرب للاعتدال ؟

8- ما معالم منهجها و آرائها الفكرية ؟

<u>خامساً : منهج الدراسة :</u>

اتبعت المنهج الوصفي التحليلي الذي يعرض هذه الشخصية ثم تحليل جميع عناصرها .

كما راعيت عند كتابة البحث الأمور التالية :

1- ترقيم الآيات وذكر سورها في القرآن الكريم.

2- الاعتماد على الأحاديث الصحيحة ، مشيرة إلى الباب والجزء والصفحة ورقم الحديث ، وإن كان وجد الحديث من غير الصحيحين فإني أذكر حكم الألباني على الحديث.

3- لم أعتمد الترجمة للأعلام إلا فيما يحتاجه البحث .

3- ذكر معلومات المصادر والمراجع كاملة عند أول موضع لها، فإذا تكرر ذكرها أكتفي بذكر الكتاب واسم المؤلف .

4- القيام بوضع الفهارس اللازمة .

<u>سادساً : الدراسات السابقة</u>

لا يوجد أي دراسة سابقة ، إلا بعض المقالات التي تحدثت عن المستشرقة آرمسترونغ ، والتي سيتم توضيحها أثناء البحث .

<u>سابعاً : خطة البحث</u>

المقدمة: تحتوي على ما يلي:

- أهمية الموضوع و أسباب اختياره

- أهداف البحث
- حدود البحث .
- تساؤلات البحث.
- منهج البحث .
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.

المبحث الأول : كارين آرمسترونغ

المطلب الأول : نشأتها ومكانتها العلمية

هي كاتبة أكاديمية بريطانية الجنسية من أصل أيرلندي متخصصة في علم الأديان المقارن ، ولدت في 14/ نوفمبر /1944م ، وفي أواخر مرحلة المراهقة أصبحت راهبة كاثوليكية رومانية في مجتمع الطفل المقدس ، وتقدمت بطلب للتعليم فيما بعد (1962-1969) ودخلت سلك الرهبنة، ثم أرسلت إلى كلية سان آن بأكسفورد لدراسة اللغة الإنجليزية ، تركت أرمسترونج الدير في سني دراستها معترفة بأنها لم تستطع أن تفي بمطالب حياة الرهبانية التي كانت قد اختارتها ، تلك الحياة التي وصفت ضيقها ومحدودية الخبرات التي تمنحها في كتابها "عبر البوابة الضيقة "لتكسب بذلك عداء كثير من البريطانيين الكاثوليك رغم تصدر كتابها هذا قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في بريطانيا.

وأخذت تدرس الأدب الإنجليزي في القرنين التاسع عشر والعشرين في بيدفورد كوليج جامعة لندن، بعدئذ أمضت سبع سنوات تدرس في إحدى مدارس البنات ، إلا أن وضعها الصحي حال بينها وبين الانتظام في عملها بالتدريس الذي تركته عام 1981، وواصلت الدراسة حتى سجلت رسالة الدكتوراه في الشاعر تينسن، لكنها أخفقت في الحصول عليها من قبل ممتحنها الخارجي .

وبتصدرها لمكانة مميزة في الحياة المعرفية والأدبية عبر كتاباتها دعتها القناة الرابعة في لندن عام 1984 لعمل سلسلة من الأفلام التسجيلية من 6 أجزاء عن حياة وأعمال سان باول .

بعد نجاح كتابها الأول (عبر البوابة الضيقة عام 1981) الذي قدم عرضاً لحياتها في الرهبنة ، غدت كاتبة عصر ، ومذيعة ، وهي الآن تعيش في لندن(2) .

المطلب الثاني : أسباب دراستها للأديان

تقول كارين مبينة أهمية الدين في حياة الأمم :" كلما اقتربنا من نهاية القرن العشرين، وجدنا أن الدين قد أصبح ثانية قوة يجب أن يُحسب حسابها .

يبدو أن الدين حاجة إنسانية هامة لا يمكن إهمالها بسهولة أو دفعها إلى مواقع جانبية ، فالدافع الديني قوي جداً وبالإمكان استخدامه من أجل الخير والشر،ولذلك يجب أن نفهمه ونتحرى تمظهراته بدقة لا في مجتمعنا فحسب ، بل أيضاً في ثقافات أخرى "(3).

أما أسباب إقبالها على دراسة الأديان فكان من أهمها: "

1- عملها في الفلم التسجيلي دفعها لأن تعود مرة أخري للبحث في شئون الدين، بالرغم من هجرها للعبادات الدينية بعد تركها للدير، وكانت تلك نقطة تحول في حياة «آرمسترونغ» .

2- أطلاع «آرمسترونغ» بكثافة على «الأديان الإبراهيمية الثلاثة»، وهو أمر كانت قد بدأته خلال السنوات السبع التي قضتها في حياة الرهبانية، والتي ضمت سنوات دراستها في اكسفورد.

3- لم يقف أثر تجربة الفيلم التسجيلي عند هذا الحد، إذ إن هذا التكليف استلزم سفر «آرمسترونغ» إلى القدس عدة مرات، وهناك بدأت في الملاحظة وطرح الأسئلة على من تعمل في أوساطهم.

كانت زيارتها الأولى إلى «إسرائيل» أثناء غزو لبنان في 1982 ووقوع مذبحة صبرا وشاتيلا أما زيارتها الثانية فجاءت أثناء الانتفاضة الفلسطينية.

و عن هذا تقول: «لقد صدمني أن أسمع الإسرائيليين لا يدافعون فقط عن قتل الصغار الذين لا حول لهم ولا قوة، بل يعملون_ أيضاً_ على تسويغ هذا الأمر". وتضيف كارين عن هذه الفترة: "كنت في القدس حين سمعت مضيفي من الإسرائيليين يشيرون إلى العرب والدين الإسلامي بأكثر التعبيرات ازدراءً ، لم أصدق - وأنا التي نشأت

(2)انظر: الإسلام في مرآة الغرب : كارين آرمسترونغ ، ترجمة محمد الجورا .ط2 ، (دمشق : دار الحصاد) ، ص 9 ،10 ، وانظر: ويكيديا ،http://ar.wikipedia.org/wiki/% .

(3)انظر : الإسلام في مرآة الغرب : كارين آرمسترونغ ، مرجع سابق ، ص 11 ، 12 .

أستنكر فظائع الهولوكوست - كيف لأناس عانوا كثيراً من الاضطهاد أن يتورطوا في مثل هـــــــــذا النـــــــــــوع مـــــــــــن العنصـــــــــــــرية ".
كل هذا أتى لينبهني إلى أن أرى جانبا آخر من القصة عبر زيارة مناطق المسلمين في القدس، ومن هنا أدركت أن ثمة شيئا ما تم حذفه عمدا في أوروبا، وربما في أمريكا أيضا، وأن الشرق الأوسط والإسلام بحاجة لأن يتم تقديمهما بالشكل الصحيح بعد أن لطخت المبالغات والتشويهات صفحات تاريخ الكتابة عنهما في الغرب .

4- نتيجة لزيارتها للقدس واجهت آرمسترونغ حالة جادة من التساؤل والأرق: "لقد أقلقني أن وعيا جديدا بدأ يقوض ما خبرته ونشأت عليه من ثقافة غربية متسقة ونظام قيمي ارتبط بتلك الثقافة" ، وتضيف: "إننا نقدم مجتمعنا كمجتمع متسامح ورحيم ، ومع ذلك فإننا نصدر أحكاما من مواقع شديدة الجهل وتخلو من العقلانية".

كانت هذه هي الفترة التي بدأت خلالها "آرمسترونغ" في اقتفاء أثر ما وصفته بالحكمة الجديدة ، وإعادة البحث في مسائل اليهودية والمسيحية والإسلام، وحتى هذا الوقت كانت مصادر "آرمسترونغ" الروحية والفكرية هي تعاليم الكنيسة والروافد التقليدية للإعلام والأكاديمية الغربية، وقد أشارت آرمسترونغ أن جميعها تعرض المسيحية واليهودية في ضوء أفضل بينما تعطي صورا سلبية لكل ما يتعلق بما هو عربي أو إسلامي.

من هنا جاء تركيز "آرمسترونج" الأساسي على أبناء حضارتها الغربية لتمدهم بفهم أفضل للإسلام ونبيهρ ، ومن ثم فقد قامت بتمشيط المكتبات، واطلعت على أعمال مدارس مقارنة الأديان، وحضرت الحلقات الدراسية لتعثر على ثروة من الكنوز البحثية و الأعمال المفيدة، إلا أنها لم تجد شيئا يناسب القارئ العادي الذي لم ينشأ في ظل الثقافة الإسلامية، مما حثها على التفكير في تقديم جوانب من الدين الإسلامي وسيرة رسول الله ﷺ بصورة تناسب القارئ الغربي العادي" (4).

وهذا أكبر دليل على اتصافها بالعدل؛ إذ لم تكتف بالاطلاع عما كتب عن الإسلام ، بل أرادت أن تبحث عن الحقيقة بنفسها ، ومحاولة تصحيح الفكرة السيئة عن الإسلام من خلال مقالاتها ومحاضراتها ، والتي سيتم التعرف عليها في المطلب التالي:

---

(4)انظر:موقع قصة إسلام :كارين الراهبة الهاربة، داليا يوسف، http://forum.islamstory.com/.

المطلب الثالث : مقالاتها ومحاضراتها

بعد زيارة كارين إلى القدس تغيرت نظرتها وفكرتها عن الأديان، وخصوصاً الدين الإسلامي ، وبدأت تتعرف على الإسلام عن قرب ، وبدأت تصحح الفكرة السيئة التي يتناقلها الغرب عن الإسلام ، من خلال مقالاتها ومحاضراتها وكتبها .

مقالاتها :

انطلقت في عالم الكتابة تركز على مقارنة الأديان " فنشرت كتابها (القدس مدينة واحدة وثلاثة معتقدات ،1996) وكتبت في الجارديان أن معاناة المسلمين في جوانتناموا ، وأبو غريب ، وفلسطين أدت إلى تضامن الناس والعدالة ، وبسبب انشغالنا بما يسمى بصراع الحضارات(5)، حدث هذا التوتر الداخلي ، وصار هذا قضية دينية للمسلمين عندما يرون إخوانهم وأخواتهم يضطهدون اضطهاداً منظماً ويذلون حتى يشعر الواحد بالحرج ، كالمسيحي الذي يرى التوارة يُبصق عليها أوالمضيف القرباني قد انتهك .

وانتقدت في مقالاتها العلمانيين الذين يتهمون الدين ، حيث يزعمون أن الإله الواحد الأحد ميت ، و أن الدين خاطئ ، و أنه ما زال سبب المشكلة ، وأن الله هو مصدر كل الوحشية الإنسانية ، ويصر الملحدون الجدد أن الله ليس للفقراء والجاهلين ، واتهمت في نفس المقال الملحدين الجدد بأنهم بخلاء جداً ، وأنهم متغطرسون جداً ، وأضافت أن بعض الناس مخطئون في حق الله والدين .

وقامت بكتابة المقالات غير أن خططاً إعلامية مستهدفة تحجم من حجمها وأثرها ، وانتقدت كثيراً من خبراء الدراسات الإسلامية في مقالاتها .

تقول كارين آرمسترونغ :" إن ريتشارد داوكين(6)، وكرستوفر هيتشينز(7)يحملان الدين (الإسلام) المسؤولية الوحشية الإنسانية ، والمفاجأة أنني أدركت أن كلاً منهما أبله "(8).

---

(5)صدام الحضارات أو صراع الحضارات ، هو نظرية أخذت شهرتها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1990 وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى أولى ووحيدة في العالم،و الصراع بين الدول والجماعات دائماً ما تولد نتيجة للرغبة في السيطرة على شيء ما ، كالناس، الأرض، الثروة، القوة، النسبية، أو هو القدرة على فرض الرأي والثقافة الخاصة بدولة أو شخص ما على جماعة أو دولة أخرى باللين أو القوة، فكرة الصراع الإنساني قديمة في حد ذاتها لكن أشهر من تحدثوا عن صدام الحضارات أو ما يعرف_ أحيانا_ باسم صراع الحضارات،هو الدكتور وعالم المستقبليات المغربي المهدي المنجرة في أوائل التسعينيات، وهو أول المنظرين لهذه النظرية، وقد اعترف المفكر الأمريكي صامويل هنتنجتون بِأمانة علمية يُشهد لها ، ضمن مؤلفه صدام الحضارات، بمرجعية وأسبقية المهدي المنجرة في طرح مفهوم صراع الحضارات، وأن اللبنات الأساسية لبناء الأطروحة تعود للمفكر المغربي المهدي المنجرة. انظر: ويكيبديا . http://ar.wikipedia.org/wiki

(6)كلينتون ريتشارد دوكينز ولد في26 /مايو/ 1941، في نيروبي، كينيا، هو عالم بيولوجيا تطورية وإيثولوجيا بريطاني وكاتب أدبيات علمية، من أبرز أعماله التأكيد على الدور الرئيس للجينات كقوة

ولقد واجهت كارين انتقادات شديدة بسبب نظرتها المنصفة للإسلام، تقول :" لقد اعتقدوا أنني قس للمسلمين؛ لأن مقالتي كانت حول النبي محمد ρكصانع سلام ، وهذا لم يتناسب مع جدول أعمالهم بقدر ما تناسبهم مقالة لويس ، وكل من لويس وكرامر صهاينة أوفياء يكتبون من واقع التحيز المتطرف ، لكن الناس بحاجة لمعرفة أن الإسلام دين عالمي ، وأنه لا يوجد شرقي أو معاد للغرب جداً حوله ، وأن الخط الذي انتهجه لويس بأن الإسلام دين عنيف أصلاً خط مغرض ، ولقد زرت إسرائيل في الثمانينات، فصدمت من مدى العنصرية التي تمارس ضد الفلسطينيين"(9).

محاضراتها :

الاهتمام العالمي المتزايد في النقاش حول تأثير الإسلام جعل من المستشرقة آرمسترونغ متكلمة ذات شعبية واسعة وذات تأثير كبير لأنها ساعدت في بناء وجهة نظر معتدلة إلى حد ما نحو الإسلام من قبل جمهور عريض في أوروبا وأمريكا ، لكن هذا لم يرض اليهود فتحركوا ضدها بحملات ضاغطه متواصلة ، وعلى سبيل المثال اتهمها إفريم كارش المستشرق اليهودي بتحريف الحقيقة لموقفها الموضوعي من بني قريظة .

وحول الإسلام المتفاهم ألقت محاضرة بعنوان (الإسلام المتعاطف) في معهد جامعة أكسفورد للدراسات الأمريكية بإنجلترا في ظل المخاوف والفرضيات الغربية ، إضافة إلى مدى معاداة الإسلام السائد في الغرب منذ 11ستمبر أجابت في هذه المحاضرة وأكدت أن المسلمين لم يطلبوا منا التخلي عن نماذجنا وقيمنا .

كتيب آرمسترونغ الخاص (الإسلام المتعاطف) بيع منه أكثر من ربع مليون نسخه في الساحل الشرقي بالولايات المتحدة وحدها ، وجاء كثير من الأسئلة إلى آرمسترونغ أثناء

دافعة للتطور إلى جانب أعماله في البيولوجيا التطورية، دوكينز يقدم نفسه على أنه ملحد، إنساني ، علماني، شكوكي، وعقلاني علمي، مع ذلك فقد قدّم نفسه على أنه مسيحي الثقافة، وهو معروف بآرائه في الإلحاد ونظرية التطور ،كما أنه من أبرز منتقدي نظرية الخلق ونظرية التصميم الذكي،له كثير من المقابلات في التلفزيون والراديو. انظر : ويكيبديا ، http://ar.wikipedia.org/wiki/

(7)كريستوفر هيتشنز ولد 13/ أبريل / 1949 ، هو كاتب وصحفي إنجليزي-أمريكي ، وكان له عمود في عدد من المجلات ، بالإضافة إلى كتابات في النقد الأدبي، وهو معروف بإلحاده ونقده للأديان، ومن كتبه كتاب الرب ليس عظيمًا الذي انتقد فيه الديانات الإبراهيمية، بالإضافة إلى الديانات التي لم تكن تُنتقد في الأوساط الغربية مثل الهندوسية[2] ، كما أنه معروف بمعاداته ونقده للصهيونية، توفي 15/ ديسمبر /2011،انظر : ويكيبديا ،http://ar.wikipedia.org/wiki

(8)انظر موقع الألوكة : كارين آرمسترونغ هل هي الأقرب إلى الاعتدال ، عبدالرحمن أبو المجد ، /http://www.alukah.net/sharia/0/22282

(9)انظر موقع الألوكة : كارين آرمسترونغ هل هي الأقرب إلى الاعتدال ، عبدالرحمن أبو المجد ، /http://www.alukah.net/sharia/0/22282

جولة محاضراتها التي دلت على إحساس وإرادة لمعرفة متعمقة حول الإسلام ،لكن أيضاً هناك كم كبير جداً من الاعتراضات الإعلامية ضد الإسلام في الروح الأمريكية(10).

مما سبق يتضح أن آرمسترونغ قد لقيت معارضة شديدة من قبل مفكري الغرب بسبب موقفها الإيجابي نحو الإسلام، حتى إنها اتهمت بأنه عميلة للمسلمين ، وهذا الأمر لم يثنها، بل واصلت طريقها في دفاعها عن الإسلام، وقد برز ذلك من خلال مؤلفاتها التالية .

<u>المطلب الرابع : أهم مؤلفاتها</u>

كتبت كارين آرمسترونغ كتباً كثيرة في الأديان ومن أهم كتبها :

1- الجهاد المقدس : الحملات الصليبية وتأثيرها في العالم اليوم 1988.

2- محمد ﷺ ،سيرة النبي 1991.

3- المسعى 4000سنة من اليهودية والمسيحية والإسلام .

4- القدس : مدينة واحدة وثلاثة معتقدات 1996.

5- النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام .

6- الإيمان بعد 11ستمبر 2002.

7- محمد ﷺ أي نبي لعصرنا 2006 .

8- الإسلام في مرآة الغرب ، قراءة جديدة في فهم الإسلام.

وفي المبحث التالي سيتم دراسة لأبرز كتابين من هذه الكتب .

المبحث الثاني : أهمّ كتب آرمسترونغ

<u>المطلب الأول : كتاب بعنوان :" الإسلام فى مرآة الغرب "</u>

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي سابقاً ، والذي كان يتقاسم الهيمنة مع الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت الساحة مفتوحة أمام الولايات المتحدة الأمريكية لفرض هيمنتها ليس فقط على العالم الإسلامي، بل على العالم أجمع ،وكان العدو البديل لها هو الإسلام الذي

(10)وانظر موقع الألوكة : كارين آرمسترونغ هل هي الأقرب إلى الاعتدال ، عبدالرحمن أبو المجد ، /http://www.alukah.net/sharia/0/22282

أصبح يشكل أكثر خطورة، ليس فقط على الولايات المتحدة الأمريكية ، بل على العالم أجمع ، وذلك بسبب الأعداد الهائلة الذين يدخلون في الإسلام، بينما هناك أرقام لا تذكر ممن ترك الإسلام ودخل النصرانية ، ولكن إعلان الإسلام عدواً للغرب وإعلان الحرب ضده لن تكون عاقبته ذلك النصر الجديد للغرب ، لذلك شرعوا في إيجاد طريقة أخرى لغزو العدو الجديد، فعملوا على تشويه صورة الإسلام ونبيه محمد ρ ،حيث لم يفرقوا بين الإسلام والمنتمين إليه، فوصفوه بأنه دين التطرف والإرهاب يحب إراقة الدماء .

والكاتبة آرمسترونغ في هذا الكتاب تحاول إزاله الصورة المشوهة عن الإسلام، العالقة في أذهان الغرب، فتقول :" لقد شجب العلماء الغربيون الإسلام بدعوى أنه دين تجديفي ، وشجبوا نبيه محمداً (ρ) بدعوى أنه المدعي الأكبر الذي أسس ديناً عنيفاً استخدم السيف كي يفتح العالم ، وهكذا فقد أصبح اسم محمد الذي حرف إلى (ماهوند) (11)بعبعاً للناس في أوروبا تستخدمه الأمهات في إخافة أطفالهن عندما لا يمتثلون لأوامرهن ،كما صور في المسرحيات الصامتة على أنه عدو الحضارة الغربية الذي حارب قديسنا الشجاع جورج .

أصبحت هذه الصورة غير الصحيحة عن الإسلام إحدى المثل المتوارثة في أوروبا، وهي ما تزال تؤثر على مفاهيمنا عن العالم الإسلامي "(12).

وفي هذا المطلب سيتم عرض أبرز المواضيع التي تحدثت عنها الكاتبة في هذا الكتاب :

الكتاب عبارة عن محاولة موضوعية غربية لفهم الإسلام وسيرة النبي محمد ﷺ ، تحدثت الكاتبة في مقدمة كتابها عن تاريخ عداء الغرب للإسلام، ثم تبتدئ المؤلفة كتابها بفصل سمته: محمد (عدو الغرب) ذكرت فيها نظرة الغرب لسيدنا محمد ρ، وكيف أن التعصب والتشويه قد الصق به، ثم بعد ذلك تنتقل في الفصول الأخرى إلى سرد سيرته ﷺ من ولادته إلى وفاته .

وكان من أهم المواضيع التي تطرقت إليها الكاتبة ما يلي:

أولاً : تاريخ العداء الغربى للإسلام ونبيه محمد ρ

---

(11)اسم أطلقه الغرب على نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، والذي يعني الشيطان أو الوحش أو الصنم أو النبي الكذاب أو الإله الزائف، حسبما جاء في "قاموس أكسفورد" التاريخي ومادة "Mahound" في موسوعة "ويكبيديا" ، انظر: موقع أهل التفسير ، صادق جلال العظيم وسخافته المتنطعة في ذهنية التحريم : إبراهيم عوض ، http://vb.tafsir.net/tafsir

(12)الإسلام في مرآة الغرب : كارين آرمسترونغ ، مرجع سابق ، ص14.

إن تاريخ العداء الغربي للإسلام قديم ، و مازال مستمراً إلى الآن ، إذ يعدّ الإسلام هو المنافس الوحيد للغرب ، ويعود السبب في استمرارية هذا العداء، إلى أن معرفة الغربيين للإسلام ضئيلة، لذلك حاولت الكاتبة فهم الإسلام وعرضه بطريقة مبسطة حتى يستطيع الغربي الذي لم يكن لديه أي خلفية عن الإسلام فهم الإسلام ، و إزالة الغشاوة التي ترسخت في نفوس الغرب عن الإسلام والتي كانت سبباً في أن ناصبوه العداء .

تقول آرمسترونغ :"إننا نحن_ الغربيين_ نملك تاريخاً طويلاً من العداء تجاه الإسلام ، إن الحقد القديم على الإسلام مازال مستمراً في تصاعده على جانبي الأطلنطي ، ونادراً ما يتردد الناس في التهجم على هذا الدين ، وإن تكن معرفتهم له ضحلة ".

و تقول :" إنه لمن السهل على المتتبع فهم السبب الكامن وراء هذا العداء حتى ظهور الاتحاد السوفيتي في قرننا، ولم يسبق أن شكلت أية دولة أو أيديولوجيا تحدياً مستمراً للغرب مثل التحدي الذي شكله الإسلام "(13).

ويعود أسباب العداء كما ذكرتها آرمسترونغ إلى ما يلي :

1- النجاح الباهر للإسلام "فعندما شُيدت الإمبراطورية الإسلامية في القرن السابع كانت أوروبا متخلفة، وسرعان ما اجتاح الإسلام معظم العالم المسيحي في شرقي المتوسط، إضافة إلى الكنيسة الكبيرة في شمال أفريقيا التي كانت تحظى بأهمية كبيرة لدى الكنيسة في روما، كان هذا النجاح الباهر نذير خطر ، ولقد بقي هذا الخوف القديم من الإمبراطورية الإسلامية المتسعة حتى عندما تعافت أوروبا من العصور المظلمة"(14).

2- فشل الحروب الصليبية ،إن إخفاق المشروع الصليبي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر في نهاية المطاف من الأسباب التي جعلت الغرب معاديا للإسلام .

3- انتشار الفتوحات الإسلامية ،خصوصاً في أيام الدولة العثمانية ، حيث تمكن العثمانيون من جلب الإسلام إلى عتبة أوروبا .

4- **النزعة الأصولية**(15)**في العالم الإسلام** ، تقول آرمسترونغ :" من الخطأ أن نرى

---

(13)الإسلام في مرآة الغرب : مرجع سابق، ص13.

(14)الإسلام في مرآة الغرب : مرجع سابق، ص13..

(15)يختلف معنى الأصولية في الثقافة العربية الإسلامية عنه في الثقافات الأخرى ، واختلاف معناها قديماً وحديثاً فالأصولية الإسلامية تعني التمسك بأصول الدين ، القرآن والسنة ،ويكون الحق في المسائل الاعتقادية واحد لا يتعدد ، وأما المسائل

المتطرفين المسلمين يُمثلون الصور النموذجية لدينهم ، ويتساوى في الخطأ عدُّ آية الله الخميني[16] وحده المجسد للإسلام "[17].

وهذا ما هو حاصل بالفعل فقد حكم العالم الغربي على الإسلام ، وألصقوا به التهم من جراء أفعال أشخاص يدعون أنهم ينتمون إلى الإسلام، فعمدوا إلى تشويه صورة الإسلام بأفعال العنف والقتل الوحشي والإرهاب والتطرف، والإسلام بريء من صنيعهم هذا .

5- **الإعلام الغربي** الذي عمدا على تشويه صورة الإسلام والمنتمين إليه تقول كارين إن " معظم الغربيين لا يعرفون ما يكفي عن التراث الإسلامي كي يقدروا أهمية هذا الضغط الجديد ويضعوه ضمن منظور صحيح ، فعندما يأخذ بعض الإسلاميين رهائن باسم الإسلام يشعر الناس في أوروبا وأمريكا بنفور من هذا الدين دون أن يعرفوا أن هذا السلوك مناف لتشريع هام في القرآن ، ومن المؤسف أن وسائل الإعلام والصحافة الشعبية في الغرب لا تقدم له دوماً العون الذي نحتاجه "[18] ثم ضربت آرمسترونغ مثلاً على ذلك قصة سلمان رشدي[19]ورواية آيات شيطانية، فتقول :"فُسح المجال أمام المسلمين الذين ساندوا فتوى

الاجتهادية فيتعدد الحق فيها ،أما الأصولية الإسلامية في الصحافة الغربية فتعني نزعة التعصب والتشدد عند الأصوليين الإسلاميين والتي ينتج عنها العنف .

وعرفها غارودي بقوله : تقوم الأصولية على معتقد ديني أو سياسي مع الشكل الثقافي أو المؤسسي الذي تمكنت من ارتدائه في عصر سابق من تاريخها ، وهكذا تعتقد أنها تملك حقيقة مطلقة أو أنها تملك حق فرضها، والمكونات الأساسية للأصولية :1- الجمودية ورفض التكيف جموداً معارضاً لكل نمو أوتطور،2- العودة إلى الماضي والانتساب والمحافظة ، 3- عدم التسامح والانغلاق و التحجر المذهبي . انظر: مناهج السنة النبوية :لابن تيمية ، المحقق: محمد رشاد سالم ،ط1، (مؤسسة قرطبة :1406هـ)، ج8ص151، وانظر: ويكيبيديا ،http://ar.wikipedia.org/wiki/

وانظر: الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها : روجيه غارودي ، (باريس : دار عام ألفين ،2000م)، ص11-13.

(16)روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني رجل دين، سياسي ،إيراني، من مواليد 24/ سبتمبر /1902، حكم إيران في الفترة من (1979-1989) وكان فيلسوفاً ومرجعاً دينياً شيعياً أيضاً، قاد الثورة الإيرانية حتى أطاح بالشاه محمد رضا بهلوي المعروف بالبهلوي الثاني والذي سبقه الشاه رضا بهلوي، وكان كالأب الروحي لعدد من الشيعة داخل إيران وخارجها، درجته الحوزوية آية الله ،تضاف إليها العظمى؛ لأنه بلغ الاجتهاد في نظر الشيعة وأصدر رسالته العلمية، أي مجموعة فتاواه في العبادات والمعاملات في الإسلام، وسمته مجلة التايم الأمريكية برجل العام في سنة 1979، توفى الخميني في3/يونيو /1989 ودفن في مدينة طهران ،حضر الجنازة ملايين الأشخاص، حيث كان أكبر تشييع عرفته إيران ذاك الوقت، وله ضريح معروف في مكان دفنه بالقرب من مقبرة تسمى بجنة الزهراء.انظر: ويكيبيديا ، http://ar.wikipedia.org/wiki/

(17)الإسلام في مرآة الغرب : مرجع سابق ، ص15.

(18)المرجع السابق ، ص15.

(19)سلمان أحمد رشدي ويسمى سلمان رشدي، ولد في مدينة بومباي في 19 يونيو 1947، وهو بريطاني من أصل هندي، تخرج في جامعة كنج كولج في كامبردج بريطانيا، سنة 1981 حصل على جائزة بوكر = الإنجليزية الهامة عن كتابه "أطفال منتصف الليل". نشر أشهر رواياته آيات شيطانية سنة1988 وحاز منها على جائزة ويتبيرد، لكن شهرة الرواية جاءت بسبب تسببها في إحداث ضجة في العالم الإسلامي، حيث اعتبر البعض أن فيها إهانة لشخص رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم .انظر: ويكيبيديا ،http://ar.wikipedia.org/wiki

آية الله الخميني[20] ضد الكاتب البريطاني سلمان رشدي أكثر من المجال الذي قُدِّم للأغلبية التي تعارض هذه الفتوى"[21].

6- إلقاء اللوم على الدين الإسلامي في كل اضطراب في العالم الإسلامي ، تقول آرمسترونغ :"إن المجتمع الإسلامي في حالته الراهنة يقدم مسوغاً لنظرتنا النمطية الأحادية له ،فالحياة فيه تبدو رخيصة ، والحكومات فاسدة أحياناً أو طاغية ، والنساء مضطهدات ولهذا ليس مستغرباً أن يوجه الناس اللوم في ذلك إلى الإسلام ، لكن يبدو أن هناك رغبة أحياناً لإلقاء اللوم على الدين ذاته في كل اضطراب في العالم الإسلامي .

ثم ضربت آرمسترونغ أمثلة على ذلك بقولها :" فالحركات النسائية تدين الإسلام على عادة ختان النساء، علماً أن هذه العادة هي في حقيقة الأمر إفريقية ، وليست مذكورة أبداً في القرآن، ولا تنصح بها ثلاثة من مدارس الفقه الأربعة، وقد تم استيعابها في المدرسة الرابعة في شمال أفريقيا حيث كانت واحدة من حقائق الحياة"[22].

كل ما ذكرته آرمسترونغ إنما هي مصوغات يحاول الغرب من خلالها تشويه صورة الإسلام وإلقاء الشبهات حوله، ومن ذلك اتهامهم الإسلام بأنه قد ظلم المرأة، وغيرها من الشبهات التي أثارها الغرب فيما يتعلق بقضايا المرأة[23] حيث لا يسع المجال لذكرها والرد عليها .

إن إساءة بعض المنتسبين إلى الإسلام للمرأة لخطأ شخصي، والإسلام بريءٌ منه ، وهذا الأمر كذلك ينطبق في قضية فساد بعض الحكومات الإسلامية .

أما ما يتعلق بمسألة "ختان المرأة " فلعل الكاتبة لم تتوفر لديها معلومات كافيه عن هذه المسألة ، و يمكن القول فيها بما يلي :

---

(20) إن حقيقة قصة فتوى آية الله الخميني ليس كما يعتقده البعض ، وهو غيرته على الإسلام ، وإنما بسبب أن سلمان رشدي قد انتقص من الخميني في روايته وصوره بأنه " عدو عائشة الوحش البديل لصنم اللات متقمص شخصية النبي الرجل القبيح المريض نفسيا بفكرة القدس التي هي في النهاية شهرته وعظمته التي يعبدها " هذا الازدراء للخميني هو السبب في إهدار الخميني ومن بعده من أتباعه لدم رشدي ، وليس للإساءات الواردة في الرواية إلى الذات الإلهية ، والنبي عليه الصلاة والسلام وأهل بيته وصحابته الأطهار ، وهذا الكلام لا يعني تبرئة سلمان رشدي، وإنما بيان لحقيقة إهدار دمه من قبل الخميني . انظر شبكة الدفاع عن السنة ،سر إهدار الخميني دم سلمان رشدي بتصرف ،-http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=151733

(21) الإسلام في مرآة الغرب : مرجع سابق ،ص15.

(22) انظر المرجع السابق ، ص16.

(23) فمن أرد الاستزادة فلينظر إلى الدراسات التي تولت الرد على تلك الشبهات مثل كتاب شبهات حول الإسلام لمحمد قطب ، وكتاب الإسلام في قفص الاتهام لشوقي أبو خليل ، ومناهج المستشرقين، وشبهات النصارى حول الإسلام ،منقذ السقار وكتاب أجنحة المكر الثلاثة لعبدالرحمن حبنكة ، شبهات حول قضايا المرأة والرد عليها عبدالحميد عوض بالإضافة للمواقع الإلكترونية وغيرها.

الخِتان مستحبٌّ في حقِّ النساء، وهذا مذهب الحنفيَّة، والمالكيَّة، وقولٌ للشافعيَّة، وقولٌ للحنابلة، وهو اختيار الشَّوكانيِّ، وابن باز، وابن عثيمين، وبه صدَرت فتوى اللَّجنة الدَّائمة، وهو قول أكثر أهل العلم.

فعن عائشةَ _ رضي الله عنها _ قالت: قال رسول الله ρ : ((إذا جَلَس بين شُعبها الأَربعِ، ومسَّ الخِتانُ الختانَ، فقد وَجَب الغُسل))[24].

فهذا الحديث يدلُّ على أنَّ النِّساء كُنَّ يختتنَّ ، وعن أبي هُرَيرةَ _ رضي الله عنه _ عن النبيِّ ρأنَّه قال :((الفِطرة خمسٌ: الخِتان، و الاستحداد، وقصُّ الشَّارب، وتقليم الأظْفار، ونتْف الآباط)) [25] إنَّ الحديث يعمُّ الرِّجال والنِّساء[26].

كذلك ذكرت آرمسترونغ مثالاً آخر لفكرة شائعة عن الإسلام يروجها الغرب ، وهي:" أن الإسلام المطبق في المناطق التي ظهر فيها الإسلام أولاً هو الشكل الأكثر صدقاً للدين ، إذ يفترض طالما أنه يمثل الطابع الأكثر قدماً ، أن يكون أكثر شبهاً بالدين الذي مارسه المسلمون الأوائل ، وبما أن الغرب يعدّ ومنذ زمن طويل النظام في تلك المناطق بغيضاً،نجده يسحب الأمر على الإسلام أيضاً ، لكن الوهابية مجرد مذهب طائفة واحدة وحسب ، لقد نشأت في القرن الثامن عشر ، وكانت مماثلة للبيوريتانية[27]المسيحية التي ازدهرت في القرن السابع عشر بإنجلترا وهولندا ، وولاية ماسا تشوستس الأمريكية .

لقد زعم البيوريتانيون والوهابيون أنهم يعودون إلى أصل الدين ، لكنَّ كليهما كانا تطوراً جديداً كلياً ، واستجابة للظروف الفريدة في عصرهما ، كان لهما تأثير هام في العالمين

---

(24)رواه مسلم:باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين ، ج2ص257، حديث (526).

(25)رواه البخاري : باب تقليم الأظفار ، ج18ص246، حديث (5440) ، وصحيح مسلم : باب خصال الفطرة ، ج2ص69، حديث رقم (379) .

(26)انظر : موقع الدرر السنية : حكم الختان ،http://www.dorar.net/enc/feqhia/229
وانظر: موقع إسلام ويب : مركز الفتوى ، حكم الختان للذكور والإناث ،http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index

(27)البيوريتانية التطهير، هي مذهب مسيحي بروتيستانتي فيه خليط من الأفكار الاجتماعية و السياسية و اللاهوتية و الأخلاقية، ظهر المذهب في إنجلترا في عهد الملكة اليزابيث الأولى و اذدهر فى القرنين ال 16 و ال 17 ، نادى بإلغاء اللبس و الرتب الكهنوتية، و حلت على أتباع المذهب نزعات انفصالية ، و بدأت طائفة وراء طائفة تنشق عن كنيسة إنجلتر الرسمية و بدأت تحصل انشقاقات في الطوائف نفسها، قاومت الطوائف البيوريتانية كنيسة إنجلترا و بعد ما انتصرت حركتهم في الثورة البيوريتانية اختلفوا ، لكن في القرن 17 رجعت الملكية مرة ثانية و قضت على حركتهم في إنجلترا، فهاجرو إلى نيواينجلاند في شمال شرق أمريكا، و استقروا و ساد مذهبهم هناك لفترة طويلة البيوريتانيون أصوليون مسيحيون تعاملوا مع مجتمعاتهم بطريقة ثيوقراطية ، و القساوسة عندهم كانت لهم سلطة مطلقة لمراقبة سلوك الأفراد ، و كان فيها تحريمات كثيرة و تزمت و كبت كبير سيطر على حياتهم و مجتمعاتهم، و بسبب كثرة التحريمات و التزمت و الكبت تعرض مجتمعهم في نيو اينجلاند لظاهرة هيستيرية عرفت باسم " محاكمات السحر في سالم ،انظر: ويكيبديا ،http://arz.wikipedia.org/wiki/

الإسلامي والمسيحي ، ومن الخطأ أن نعدِّ أياً منهما حالة معيارية في الدين ، فالحركات الإصلاحية في أي دين تحاول العودة إلى روح مؤسسه الأصلية ،لكن من المحال إعادة إنتاج ظروف سابقة بالكامل"(28).

إن ما ذكرته آرمسترونغ في أنه من الخطأ تحميل الإسلام أخطاء المنتمين إليه فإني أوافقها الرأي في ذلك ، وقد أجادت في توضيح ذلك، أما ضربها المثل في ذلك بالحركة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وتشبيهه بحركة البوريتانيين فهذا غير منصف ، ويمكن توضيح ذلك بما يلي :

أولاً : دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ليست كما ذكرتها آرمسترونغ بأنها " هي مجرد مذهب طائفة واحدة وحسب، " فهي ليست مذهب أو طائفة، إنما هي دعوة خرجت في وقت كان الناس فيه يعيشون في ظلمات الجهل والشرك ، فأخرجت الناس من الشرك إلى التوحيد ، ولم تأت هذه الدعوة بدين جديد، إنما أحيت ما اندرس من الدين ، وقد عده العلماء من المجددين للدين الذين ذكرهم النبي محمدρ بقوله :((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها))(29) .

ثانياً : تشبيه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالحركة البيوريتانية غير منصف؛ إذ لم يكن في دعوة الشيخ شيء من التزمت ، وإنما هي_ كما ذكرت_ أخرجت الناس من عبادة غير الله إلى عبادة الله .

7- **التهجم على شخصية النبي محمد ﷺ** ، فقد ذكرت آرمسترونغ أن تاريخ العداوة بدأ بالتهجم على النبي محمد ρ في أسبانيا المسلمة ، ثم أوردت قصة الراهب بيرفكتوس فقالت :" في عام 850م ذهب راهب يدعى بيرفكتوس، للتسوق في أسواق قرطبة ، عاصمة الدولة الإسلامية في الأندلس ، وهناك بادرته جماعة من العرب بالسؤال: أيُّهما أعظم برأيك ،يسوع أم محمد (عليهما السلام) ؟ فهم بيرفكتوس أن في السؤال مكيدة؛ لأن توجيه إهانة إلى محمدρكان يعدّ جريمة كبرى في أرجاء الإمبراطورية الإسلامية ، لذلك كانت إجابته في البداية تتسم بالحذر ، لكنه ما لبث أن انفجر فجأة، وأخذ يكيل سيلاً من الذم للنبي

(28)انظر: الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق ، ص16.
(29)رواه أبو داود : باب ما يذكر في قرن المائة ، ج11ص 362، حديث رقم (3740) قال الألباني "صحيح " السلسلة الصحيحة ، (الرياض : مكتبة المعارف) ج2ص148.

محمدρ قائلاً : دجال منحرف جنسياً ، وأنه هو المسيح الدجال ذاته، وسرعان ما وقع في المصيدة .

عندما وصل بيرفكتوس إلى السجن دب الذعر في أوصاله غير أن القاضي قرر ألا يحكم عليه بالموت؛ لأنه قدّر أن المسلمين قد أثاروه دون مسوغ، لكن بيرفكتوس انهار ثانية بعد مضي أيام، وَوَجَّه للنبيρكلمات مقذعة إلى درجة أنه لم يترك أمام القاضي خياراً آخر سوى تطبيق القانون في أقصى درجاته، فصدر الحكم بالإعدام"(30).

لقد أوردت كارين هذه القصة مستشهدة فيها أنها كانت بداية العداوة لشخص النبي محمد ρ حيث لم تتوقف سلسلة الاعتداء بالسب والشتم للنبي محمد ρ من قبل المسيحيين انتقاماً لقصة الراهب بيرفكتوس ، وأيا كان مصداقية هذه القصة فليست مسوغاً أن تكون سبباً من أسباب الإساءة والعداوة التي يكنها الغرب تجاه الرسول محمد ρ.

8- الرهبنة القاسية ، "حيث فرضت الكنسية رهبنة قاسية على رجال الدين رغماً عنهم ، لهذا يتضح أن القطع الوصفية المدهشة لحياة النبي محمد ρ الجنسية تكشف عن الكبت الذي كان يعاني منه المسيحيون أكثر مما تكشف حقائق تتعلق بحياة النبي عليه الصلاة والسلام "(31).

هنا أوضحت كارين أن ما تقوم به الكنيسة من فرض رهبنة قاسية كانت سبباً في التهم التي كانت توجه إلى النبي محمد ρ، بوصفه رجل شهواني ، فتقول :" تم التركيز على حياته الجنسية بشكل مسرف بالقول: كان مثالاً للمنحرفين، وقيل إنه كان يجذب الناس إلى دينه من خلال تشجيعهم على إشباع غرائزهم الأكثر انحطاطاً"(32).

بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، فلو عرفوك لما ألصقوا بك تلك التهم الشنيعة فقد عشت (25عاماً) أعزبا طاهراً نظيفاً حتى لقبوك بالصادق الأمين ، وعشت (25عاماً) أخرى بزوجة واحدة، بينما كان العرب لديهم إلى العشرة من النساء ، والمتأمل بزوجات النبيρ يجدهن كبيرات في السن، ولم يتزوج بكر إلا عائشة ، ولكل زوجة حكمة من زواجها بالنبيρ ولا يسع المجال لذكرها ، وأختم حديثي في هذا الشأن بما يتضح من خلاله حكمة

(30)انظر: الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق ،ص 22.
(31)انظر: المرجع السابق، ص29.
(32)انظر: الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق، ص29.

تعدد زوجات النبي ρ بقوله تعالى :[وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ الله عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ الله وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا الله مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَالله أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً](33).

9- القصص الخيالية التي نسجها الغرب وغرسوها في مخيلة أبنائهم حول شخصية النبي ρ،"كانت سبباً من الأسباب التي جعلت الناس في الغرب يجدون صعوبة أكبر في أن ينظروا إلى النبي محمد ρ كشخصية تاريخية جديرة بالمعالجة الجادة ، والصورة القصصية لماهوند في رواية الآيات الشيطانية هي صدى عميق لتلك الخيالات الغربية الراسخة حوله"(34).

10- الغيرة والحسد ، فبينما كان المسلمون يعيشون أوج حضارتهم ويشجعون العلم والعلماء كان الغرب يعيش في عصور الظلام ، وكانت الكنيسة تحارب العلم وتقتل العلماء وتحرقهم مع كتبهم وتصفهم بالهرطقة، هذا كله جعل الغرب يكنون العداء للإسلام، وما تقوم به الكنيسة باسم الدين جعلهم يحاربون الأديان.

تقول آرمسترونغ بهذا الشأن:" هناك إيقاع حسد وغيرة في هذا التصوير للإسلام على أنه دين انغماس شهواني ، حقيقة كان الغرب هو من منع النقاش العلني للمسائل الدينية وليس الإسلام، ففي فترة الحملات الصليبية بدت أوروبا ممسوسة برغبة من أجل انسجام فكري، وكانت تعاقب كل منحرف عن ذلك بحماسة كانت فريدة في تاريخ الدين ، فملاحقة محاكم التفتيش للساحرات ، واضطهاد الكاثوليك للبروتستانت والعكس صحيح، كانت تلهها آراء ثيولوجية مبهمة، لم يكن الإسلام يُشارك المسيحية في مفهومها للهرطقة التي تثير أفكاراً إنسانية حول المقدس إلى مستوى عالٍ غير مقبول، جاعلة من هذه الأفكار شكلاً من أشكال الوثنية ، كذلك كانت فترة الحملات الصيلبية عندما ترسخت صورة ماهوند القصصية فترة توتر شديد وإنكار للدين في أوروبا، وتم التعبير عنهما تصويراً في الرهاب من الإسلام"(35).

---

(33)سورة الأحزاب : الآية (37)

(34)انظر: المرجع السابق، ص28.

(35)انظر: الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق ، ص29 .

11- الدراسات الاستشراقية التي كان لها دور فعال في غرس المفاهيم الخاطئة عن الإسلام متخذة من العلم ستاراً لها ، " ففي عام 1453هـ، تماماً بعد أن استولى الأتراك على إمبراطورية بيزنطة المسيحية جالبين معهم الإسلام إلى عتبة أوروبا ، أشار جون سغوفيا إلى أنه ينبغي إيجاد طريقة للتعاطي مع التهديد الإسلامي؛ لأن هذا الخطر لن يهزم أبداً بالحرب أو بالنشاط التبشيري التقليدي ، بدأ بترجمة جديدة للقرآن بالتعاون مع قاضٍ مسلم من سالامنكا ، واقترح_ أيضاً_ فكرة مؤتمر دولي يتم خلاله تبادل الآراء بين المسلمين والمسيحيين ، لكن جون توفي في عام 1458، قبل أن يؤتي أيّ من مشروعية ثماره ، إلا أن صديقه نقولا الكوزي بقي متحمساً لهذا المشروع الجديد"(36) وأكمل المشوار بعده .

من خلال ما ذكرته كارين اتضح أن الهدف من هذه الدراسات ليس كما يزعمون ، وإنما هي خطوة جديدة من أجل غزو العالم الإسلامي ، كذلك الدعوة إلى مؤتمرات الحوار بين الأديان ما هي إلا أسلوب آخر من أساليب التنصير، خصوصاً أن حملات التنصير لم تعط النتائج المطلوبة منها .

ثم شرعت آرمسترونغ بذكر ما قام به المستشرقون من دراسات حول الإسلام، بعضها وصف بالموضوعية، والبعض الآخر لازال حقده على الإسلام ونبيه ظاهراً من بين أسطره، فتقول :" في بداية عصر التنوير عندما تم نشر كتابين مؤثرين، الأول البيلوغرافيا الشرقية للكاتب بارتلمي ديربلوت ، الذي بقي المصدر المرجعي الأكثر وثوقية في الدراسات الإسلامية والشرقية في انجلترا وأوروبا حتى بداية القرن التاسع عشر ، وقد عُدَّ أول موسوعة عن الإسلام ، لقد استخدم مؤلفه مصادر عربية وتركية وفارسية ، وقام بجهد حقيقي للابتعاد عن أصحاب التوجه المسيحي العقيم ، حيث قدم عروضاً مختلفة لأساطير خلق الكون التي كانت منتشرة في الشرق ، فكان هذا التوجه إيجابياً ودليلاً على روح صحية أكثر، لكننا نجد تحت عنوان: محمد ρ هذه المداخلة المألوفة المسيئة والمحزنة : هذا هو الدجال الشهير محمد ρ مؤلف ومؤسس هرطقة ، أسبغت اسمه على دينه محمدي ،إن شارحي القرآن وفقهاء الشريعة الإسلامية أو المحمدية أطلقوا على هذا النبي المزيف كل المديح "(37) .

(36)المرجع السابق ، ص39.

(37)الإسلام في مرآة الغرب : مرجع سابق ، ص 39 ،40 .

هكذا أوضحت آرمسترونغ الحقد والعداء الذي يكنه المستشرقون للنبي محمد ﷺ ،حتى وهم يحاولون أن يكونوا أكثر موضوعية وهم يتحدثون عن الإسلام ،ولكن في المقابل كانت هناك دراسات أكثر إنصافاً في دراستها للإسلام وتقديمه للقارئ الغربي دون تغيير للحقائق ، ودون الإساءة إلى الإسلام ونبيه ρ "فخلال القرن الثامن عشر حاولت بعض الجهود الارتقاء إلى فهم أكثر دقة للإسلام ، ففي عام 1708أنتج سيمون أوكلي المجلد الأول من كتابه (تاريخ العرب المسلمين) الذي أقلق الكثيرين من قرائه لأنه لم يقدم الإسلام كانعكاس لدين السيف ، بل حاول أن يرى جهاد القرن السابع من وجهة نظر إسلامية ، وفي عام 1734نشر جورج سال ترجمة إنجليزية ممتازة للقرآن ، وفي عام 1751 نشر فرانسوا فولتير (طبائع الأمم وروحها) دافع فيه عن محمد ρ كمفكر سياسي عميق ومؤسس دين عقلاني حكيم ، واستنتج أن نظام الحكمة الإسلامي كان دائماً أكثر تسامحاً من التراث المسيحي "(38).

هكذا تباين موقف المستشرقين من الإسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام مابين منصفين ، وحاقدين متعصبين .

12- التبشير والاحتلال ،كان لهما دور بارز في إشعال نار الحقد على الإسلام ، فلا زالت الحروب الصليبية والهزيمة الساحقة التي حققها المسلمون على النصارى عالقة في أذهان الغرب ، فلقد ساعد التبشير الاحتلال في غزو العالم الإسلامي ، وقام المحتلون بصبّ غضبهم وحقدهم على أبناء المحتلين .

تقول آرمسترونغ في هذا الشأن :" في يومنا هذا يربط العالم الإسلامي الإمبريالية الغربية والعمل التبشيري المسيحي بالحملات الصليبية ، وليس هذا بخاطئ ، فعندما وصل الجنرال اللنبي إلى القدس عام 1917أعلن أن الحملات الصليبية قد اكتملت ، وعندما دخل الفرنسيون دمشق سار قائدهم إلى ضريح صلاح الدين في الجامع الكبير وصاح :" ها قد عدنا يا صلاح الدين " لقد ساعد جهد البعثات التبشرية المسيحية المستعمرين في محاولة نسف الثقافة الإسلامية التراثية في البلدان المهزومة ... ومع أن العلماء الغربيين استمروا في سعيهم نحو صورة أكثر موضوعية للعالم الإسلامي والعربي، إلا أن التفوق

(38)انظر: الإسلام في مرآة الغرب : مرجع سابق، ص41.

الاستعماري جعل كثيرين منهم يعتقدون أن الإسلام ليس جديراً بأن يُولي اهتماماً جاداً "(39).

يتضح مما سبق الأسباب التي جعلت العالم الغربي يكن العداء للإسلام ، وأن هذه العداوة ليست وليدة اليوم ، بل لها تاريخ قديم ، وهذه الأسباب منها ما يعود إلى أخطاء ارتكبها المنتسبون إلى الدين، وحمل الغرب اللوم في ذلك على الإسلام ، ومنها ما يعود إلى العالم الغربي حيث أصبح الإسلام يشكل تهديداً لهم ، ومنها ما يعود إلى الإعلام الغربي الذي عمد إلى تشويه صورة الإسلام و الإساءة إليه، ومنها إلى الحقد الدفين الذي خلفته الحملات الصليبية التي باءت بالفشل ، وما زال تأثيرها إلى يومنا هذا .

ثانياً :سيرة النبي محمد ρ

بعد أن تحدثت الكاتبة عن تاريخ العداء الغربي للإسلام ونبيهρ تطرقت لذكر سيرته ρ منذ ولادته حتى مماته ، وفي كل قضية تذكرها تؤكد وتنفي الشبهات التي يثيرها الغرب حول الرسول ρ،وكان من أبرز المواضيع التي تحدثت عنها آرمسترونغ في هذا الكتاب ما يلي :

1- مكانة قبيلة بني هاشم في قريش، حيث كان لها مكانه ممتازة، فقد تولت سقاية الحجاج.

2- زواج عبدالله بن عبدالمطلب من آمنة بنت وهب ، و عبدالله كان الابن الأصغر، وهو الأغلى على قلب عبدالمطلب ، وقيل إنه الأكثر وسامة من بين إخوته .

3- ولادته ﷺ ، ولد في يوم 12/ ربيع الأول ، فأرسلت آمنة في أثر جده، وأخبرته بأن الطفل سيكون ذا شأن ذات يوم، فحمله جده فرحاً إلى الكعبة شاكراً ، ويقال إنه قد أُخبر بالمستقبل العظيم الذي ينتظره .

4- إرضاع حليمة السعدية للنبي ρ ،حيث كان من عادة العرب تربية أطفالهم في الصحراء ، وكانت من أفقر الأسر في قبيلتها ،ولكن الله أسبغ عليها النعم بعدما تولت إرضاع الرسولρ ؛ لذلك طلبت من أمه أن يبقى عندها مدة أطول ، ثم حادثة شق صدر الرسول ﷺ .

5- ترميم الكعبة المشرفة، فبعد الانتهاء من ترميم الكعبة حصل نزاع بين القرشيين من يكون له الشرف في وضع الحجر الأسود، فقرروا القبول بحكم أول قادم، فكان محمد ρ فأشار عليهم الرسول ρ بوضع الحجر في الثوب و تأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم

(39)انظر: المرجع السابق ، ص 45 ، 46 .

رفعوه جمعياً ، حتى وضع الحجر بيديه الشريفتين في موضعه ، وهنا ذكرت آرمسترونغ عبارة جميلة عند سردها لهذه الحادثة؛إذ قالت :" وكما قدر لمحمد أن يرمم وحدة قريش حول الكعبة المقدسة فقد رمّمَ الكعبة بطريقة أفضل وأعمق عندما جعلها مركز العالم الإسلامي "(40).

6- ابتداء نزول الوحي، وفي هذا الشأن ذكرت آرمسترونغ :" لا نعرف الكثير عن التحنث ، لكنه ربما كان يتألف من تدريبات صارمة ظهرت في معظم التراثات الدينية كي تساعد ذوي الأبصار على تجاوز حدود تجربتهم العادية ، ويصف محمدρ لاحقاً هذه التجربة، فيقول إن ملاكاً ظهر بجانب الكهف وقد زاره وأعطاه أوامره أن "اقرأ"، و رفض محمداً ρ قائلاً: " ما أنا بقارئ " معتقداً أن الملاك لا بد قد أخطأ بينه وبين أحد الكهان السيئي السمعة ،أو أحد مفسري الأحلام في الجزيرة ، لكن الملك ضمه إليه ، وفي النهاية وجد محمد ρ نفسه ينطق الكلمات الأولى من القرآن [**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**] (41).

استعاد محمدρوعيه بعد حالة الرعب والتحول، كما يقول المؤرخ الطبري ،امتلأ يأساً لاعتقاده أنه قد أصبح مكرهاً كاهناً ممسوساً ،فلم يعد يريد الاستمرار في الحياة، فاندفع إلى خارج الكهف صاعداً إلى قمة الجبل ليرمي نفسه كي يلقى حتفه ، لكن على سفح الجبل رأى رؤيا أخرى لكائن عرفه فيما بعد على أنه الملك جبريل يقول له: يا محمدρ أنت رسول الله ... "(42).

هكذا أوردت آرمسترونغ قصة بداية الوحي، وهناك بعض الملاحظات، منها:

1- أن الرسول ρ رفض أن يقرأ؛ لأنه ليس كما فسرت آرمسترونغ " أن يكون الملك قد أخطأ بينه وبين أحد الكهان" ، وهذا فيه إساءة إلى الله تعالى و نسب الخطأ إليه سبحانه وتعالى ، والسبب الحقيقي في رفض الرسول ρالقراءة أنه كان لا يجيد القراءة والكتابة .

2- أما قولها إن الرسول ρ حينما أصابه الرعب أراد أن يرمي نفسه من على سفح الجبل ، فهذا سوء فهم من قبل الكاتبة، وعند الرجوع إلى كتاب الطبري وجدتُ قوله :" ثم أتاني فقال: يا محمد أنت رسول الله، قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من جبل فتبدى لي

(40)الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق ، ص95 .
(41)سورة العلق الآية (1) .
(42)انظر: المرجع السابق ، ص96 .

حين هممت "(43) والهم التفكير في الشيء وليس التنفيذ ، كما أنه عند الرجوع إلى سيرة ابن إسحاق وجدتُ قوله :"حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله "(44).

ثم أكملت حديثها عن شعور الرسول ρ أثناء نزول الوحي عليه قائلة **:"** فعاد غريزياً إلى زوجته وهو في غمرة عزلته ورعبه، عاد إليها فجلس إلى فخذها مُضيفاً (ملتصقاً) إليها زاحفاً على يديه وركبتيه، والجزء العلوي من جسمه يرتجف تشنيجاً، ورمى نفسه في حجرها "زملوني زملوني " طالباً منها أن تحميه من هذا الحضور المخيف، على الرغم من كراهية محمد ρ للكهان الذين كانوا يغطون أنفسهم بعباءة عندما يقدمون نبوءة، فقد تبنى محمد ρ غريزياً الوضع نفسه "(45)**.**

إن وصف آرمسترونغ لحالة الرسول ρ عند نزول الوحي وتشبيهه بالكهان وأنه أخذ وضع الكهان غريزياً فيه سوء أدب ، كما أن إيرادها هذا الأمر بهذه الصورة غير صحيح فلم يثبت أنه ρ أتى خديجة رضي الله عنها زاحفاً على يديه وركبتيه ، والذي ورد في هذا قد قصته علينا عائشة_ رضي الله عنها قائلة :" أوَّل ما بدئ به رسول الله ρ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ ، قال: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني ، فقال: اقرأ ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال :[**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ**] (46)فرجع بها رسول الله ρ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد_ رضي الله عنها_ فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع "(47).

(43)تاريخ الطبري ، (دت) (دط) ، ج2ص49.
(44)السيرة النبوية : لابن إسحاق ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، ط4(بيروت : دار الخير 1420ه) ج1ص191.
(45)الإسلام في مرآة الغرب : مرجع سابق ، ص97.
(46)سورة العلق الآية (1-3).
(47)رواه البخاري : باب بدء الوحي ، ج1ص5، حديث رقم (3) .

7- قصة الغرانيق(48)ذكرتها كارين تحت عنوان "الآيات الشيطانية"، فقالت : "ويشير القرآن إلى لحظة يبدو فيها أن محمداً ρ قد حاول الوصول إلى القرشيين ليهدئ من مخاوفهم آملا في إعادة إرساء علاقات ودية معهم، قال الله تعالى : [وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (73) وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً](49) لقد اعتقد بعض العلماء في الغرب أن هذه الآيات تشير إلى الحادثة المعروفة باسم "آيات شيطانية " فقالوا إن محمداً قدم تنازلاً مؤقتاً للشرك "(50).

و هذه القصة لا أصل لها ، ويمكن الرد على من يقوم بترويجها بما يلي :

من الذين رووا هذه القصة ابن سعد(51)والطبري(52)والبيهقي(53)والسيوطي(54)وابن حجر(55)وابن تيمية(56).

ولم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة ولا الإمام أحمد ولا غيرهم من أصحاب الكتب المعتمدة ، إن هذه القصة الكاذبة ترد عادة عند ذكر الهجرة إلى الحبشة وعلى الرغم من أن هذه الفرية لا علاقة لها بعودة المهاجرين إلى مكة، ليس هذا فحسب، بل إنها تنافي جانبا عظيما من جوانب العقيدة، بالإضافة لما فيها من الافتراء على الله_ تعالى_ وعلى نبيه ρ وهذه القصة باطلة لا أصل لها، وقد تصدى لها جهابذة العلماء، وتولوا الرد على مدعيها وأوضحوا بطلانها وزيفها.

وأسوق الآن أقوال العلماء الذين قاموا بالرد على مدعيها:

قال ابن كثير رحمه الله : "قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم "(57).

---

(48)يريدون بذلك ما شاع من أن النبي ρكان يقرأ سورة النجم فلما وصل إلى قوله تعالى: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) سورة النجم: الآية (19، 20)ألقى الشيطان في آذان المشركين قوله (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى)وهذا الخبر شهر بقصة الغرانيق.

(49)سورة الإسراء الآية (74) .

(50)الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق ، ص128 .

(51)انظر: الطبقات الكبرى: ، (بيروت : دار صادر)ج1 ص205.

(52)انظر: تاريخ الأمم والملوك: الطبري، مرجع سابق، ج 2 ص551، 552.

(53)انظر : دلائل النبوة: للبيهقي، تعليق عبدالمعطي قلعجي دار الكتب العلمية ، ج2 ص286، 287.

(54)انظر: لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي، (بيروت :دار إحياء العلوم)، ص148.

(55)انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر، تحقيق عبدالعزيز بن باز، دار المنار ،ج8 ص493- 495.

(56)انظر: مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية، (دط) و(دت) ، ج10 ص291.

(57)تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق يوسف المرعشلي ،(بيروت : دار المعرفة) ج3 ص239.

وللقاضي عياض(58) _رحمه الله _ عدة مآخذ على هذه القصة، وفي ذلك يقول: "أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون
من الصحف كل صحيح وسقيم ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صحابي، وأكثر الطرق عنهم ضعيفة واهية"(59).

وقال الشوكاني-رحمه الله- : "ولم يصح شيء من هذا، ولا يثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته، بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله " ثم ذكر بعض الآيات الدالة على بطلانه، ثم قال: "وقال إمام الأئمة ابن خزيمة، إن هذه القصة من وضع الزنادقة "(60).

وللشيخ الألباني- رحمه الله- رسالة بعنوان (نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق) خرج فيها أحاديث هذه القصة، وحكم عليها بالضعف والبطلان(61).

مخالفة قصة الغرانيق لصريح القرآن:

القرآن الكريم كلام الله I الذي نزل به الروح الأمين على نبينا محمدρ والذي تولى الله I حفظه، قال الله تعالى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ](62) والنبي ρ عندما يتنزل عليه الوحي، فإنه يعي كل كلمة ينزلها عليه جبريل υ وفي بعض الروايات التي ذكرت في قصة الغرانيق تنسب إلى النبيρ أنه لم يميز بين كلام الله الحكيم المحكم وكلام الشيطان الكذوب، و بعض الروايات الكاذبة تزعم أن المعصوم عليه الصلاة والسلام مكث على اعتقاد قرآنية كلام الشيطان حتى جاءه جبريل υ فنبهه، وبيَّن له أن هذا من كلام الشيطان، وهذا أبشع

---

(58)عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي قضاء سبتة، ومولده فيهاسنة476 هـ ، ثم قضاء غرناطة، وتوفي بمراكش مسموماسنة 544 هـ ، قيل: سمه يهودي، من تصانيفه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) و(شرح صحيح مسلم).انظر : الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج5، ص99.

(59)الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، تحقيق حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم بن الأرقم، ج2 ص132، 133.

(60)فتح القدير: للشوكاني، دار الفيصلية ، ج3، ص460.

(61)انظر: نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط3، ص10-36.

(62)سورة الحجر: الآية (9).

الافتراء على الله I وعلى نبيهρ، افتراء يهدم الرسالة من أسا سها(63) إذا سلمنا أن النبي ρ لم ينبه حتى جاءه جبريل، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا، وفي رواية أخرى أنها خلت من تنبيه جبريل υ وهذا محال بلا شك، والله I قد صرح في القرآن أن النبي ρ لا يستطيع أن يتقول على الله، قال الله تعالى: [وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ](64).

ومن الأدلة الصريحة على مخالفة هذه القصة للقرآن الكريم، قول الله تعالى:[إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ](65)وقد أبعد الله الغواية عن عباده المرسلين، ليس هذا فحسب، بل لقد أقر رئيس الشياطين بأن لا سلطان له على عباد الله المخلصين، كما حكى الله عنه في قوله تعالى: [قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ](66) ومن هو ذلك الأخلص من النبي ρ بل ليس للشيطان سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، كما قال الله تعالى: [إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ](67)وأي بشر أصدق إيماناً وأشد توكلاً على الله من الأنبياء ولا سيما خاتمهم ρ، ومن أحق من الأنبياء بالاصطفاء، أو من أشد إخلاصاً منهم ونبينا محمدρعلى رأس المصطفين الأخيار وفي الذروة منهم إخلاصاً لله، فهؤلاء الزنادقة الحاقدون على الإسلام ونبيه نسبوا إلى الشيطان ما أقر هو بأنه لا قبل له به، ووضعوا هذه الروايات الباطلة التي تصادم نص القرآن الذي لا ريب فيه(68).

إنها رواية ترفع الثقة عن آيات القرآن الكريم، وتذهب بخصوصية إعجازه البياني الذي أدركه بلغاء العرب فسجدوا عند أفصح البشر، وأقوم الخلق بفهم إعجاز القرآن، وهوρ القيّم على تنزيله وتبليغه وحفظه من التحريف والتبديل، لا يميز بين كلمات هذا الكتاب الحكيم وآياته، وبين غثاء الشياطين وافترائهم، فمن إذاً بقي من الخلق إنسهم وجنهم وملكهم وراء ذلك ليحافظ على هذا الكتاب الحكيم، وليست صحة السند- إذا سلمت- دليلا على

(63)انظر : محمد رسول الله ρ: عرجون، دار القلم ، ص40.
(64)سورة الحاقة: الآية (44- 47).
(65)سورة الحجر: الآية (42).
(66)سورة ص: الآية (82، 83).
(67)سورة النحل: الآية (99).
(68)انظر السيرة النبوية: لأبي شهبة، دار القلم، ج1 ص370.

صحة ما يروى من الشرائع والأحكام، ولا سيما ما يتعلق بالعقيدة، الهداية وموافقة أصول الرسالة الخاتمة الخالدة(69).

على أن محققي العلماء لم يغفلوا عن هذه القواعد، بل قالوا: إن قاعدة الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلَّت على أن موضوع الروايات له أصل ليست على عمومها، ففي باب العقائد لا يقبل إلا النص الصحيح الصريح القاطع بالتواتر أو بغيره من وسائل القطع والصحة، وفي غير أبواب العقائد من الأحكام الفرعية فإن هذه القاعدة مقيدة ـ كما يقول الإمام ابن الصلاح، بالضعف الذي يزيله ما يجبره، وذلك إذا كان الضعف ناشئاً عن ضعف حفظ الراوي، أما الضعف الذي لا يزول لقوته، وتقاعد الجابر عن جبره ومقاومته فلا وزن له، ولو جاء من سبعين طريقاً متباينة المخارج، وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهماً بالكذب- كما في بعض روايات أقصوصة الغرانيق التي جاءت من طريق الكلبي وهو كذوب ولا تجوز الرواية عنه ـ ومثل ذلك كون الحديث شاذاً(70).

وقد نبه المحدثون إلى مسألة وهي أنها لا يلزم من ضعف السند ضعف المتن، كما لا يلزم من صحة السند صحة المتن، فقد يضعف السند ويصح المتن لوروده من طريق آخر، كما أنه قد يصح السند ولا يصح المتن لشذوذ أو علة(71).

وقصة الغرانيق وإن وجد فيها روايات سندها مقبول لدى المحدثين، فليس معنى هذا أن متنها صحيح، وذلك لمخالفتها ما جاءت به الشريعة الإسلامية، فالرسولρ منُذ أن بعثه الله I بهذه الرسالة وهو ينكر على المشركين عبادتهم للأصنام،، فكيف يعقل بعد ذلك أن يقوم بمدح آلهتهم، والشريعة التي جاء بها تقوم على نبذ عبادة الأصنام، وإقرار الوحدانية لله تعالى، كما أن السورة التي يزعمون فيها مدح الأصنام جاء فيها ذم الأصنام ثم بعد ذلك يذكر مدحها، فهذا الأمر لا يستقيم، كما أن حال النبي ρ قبل البعثة أكبر دليل على بطلان هذه القصة، وذلك لأنه ρ قبل البعثة لم يسجد لصنم قط، وكان يبغض عبادة الأصنام، وقد خرج البيهقي- رحمه الله-من حديث يونس بن شبيب عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله ابن أبي بكر عن عثمان بن أبي سليمان عن نافع عن جبير بن مطعم عن أبيه جبير، قال: لقد رأيت رسول الله ρ وهو على دين قومه، وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه

(69)انظر: محمد رسول الله ρ: عرجون، مرجع سابق، ج2، ص41، 42.
(70)انظر: المرجع السابق، ج2، ص84.
(71)انظر: منهج النقد في علوم الحديث: نور الدين، ط3،(دمشق : دار الفكر) ج1 ص290.

حتى يدفع معهم توفيقا من الله Y له، قال البيهقي: قوله على دين قومه معناه: على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل في حجهم ومناكحهم وبيوعهم دون الشرك، فإنه لم يشرك بالله قط، وفيما ذكر من بغضه اللات والعزى دليل على ذلك(72).

فهل يعقل بعد ذلك أن يمدح الأصنام؟ إنه كان قبل البعثة ينبذ عبادتها، أبعد أن منَّ الله عليه بالرسالة والنبوة يقوم ويمدحها ويجعلها ضمن آيات الله I؟ هذا مما لا يتصوره العقل مطلقاً.

القصة تنافي عصمة النبي ρ:

فقد أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد ذكر القاضي عياض رحمه الله في كتابه (الشفاء) فصلاً تكلم فيه عن عصمة النبي ρ وقد جعله تمهيداً لتفنيد أكذوبة الغرانيق وإبطالها؟ فقال: "أجمعت الأمة على صدقه ρ وصدق أخباره فيما كان طريقه الإبلاغ أنه معصوم فيما أمر بتبليغه من الأخبار عن مجيء شيء منها بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً وغلطاً"(73).

إذ لو جاز هذا من الرسول ρ لجاز عليه الكذب، والكذب على الرسولρ محال، إذاً صدور مثل هذه القصة عنهρ محال(74)فإذا كان رسول اللهρ قد حذر من الكذب عليه وتوعد به، حيث قال: " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"(75)، فإذا كان الكذب على رسول الله ρ يوجب النار فكيف الكذب على الله تعالى، فهل يعقل أن النبيρ يأتي ببعض الكلمات ويدخلها فيما ينزل عليه من القرآن لمجرد، أنه يريد أن يرضي المشركين كما ورد في بعض الروايات المكذوبة، صحيح أن النبي ρ كان يتمنى أن يسلم قومه، وهي أمنية كل نبي يرسل إلى قومه كما قال الله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ](76)قال ابن عباس: "إن أمنية أن يسلم قومه"(77).

---

(72)انظر: دلائل النبوة: للبيهقي، مرجع سابق، ج2 ص37.
(73)الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، مرجع سابق، ج2، ص130.
(74)انظر: الهجرة في القرآن الكريم: احزمي سامعون جزولي ، ط1، مكتبة الرشد ، ص298.
(75)صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج4، ص947، حديث رقم (1610).
(76)سورة الحج: الآية (52).
(77)الدرر المنثور بالتفسير بالمأثور: السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر مصر، 10، ص510.

وقد ألغى مدّعو الغرانيق هذه الآية عند ذكرهم للقصة الباطلة، وذلك بأنهم يقصدون أن تمنى بمعنى تلا، ولم يرد في روايات القصة تعيين أحد من السلف بأنه فسر الأمنية بالتلاوة وتمنى بتلا، وقد فسَّر حب الأمنية بحب إسلام قومه، وهو المعنى الموافق لاستعمالات اللغة وأوضاعها، والتمني بمعنى التلاوة لم يرد إلا في بيت منسوب لحسان بن ثابت في رثاء عثمان ابن عفان ، ولم يعرف له سند صحيح وسائر من كتب سابقاً ولاحقاً لم يجدوا دليلاً لغوياً على تفسير الأمنية بالتلاوة سوى هذا البيت الذي يحتمل أنه مكذوب مصنوع، واستعمال القرآن الكريم للتمني في آيات كثيرة، فقد جاءت بمعنى الرغبة والمحبة والاشتهاء(78) مثل قوله تعالى: [لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً](79).

مخالفة القصة للغة العربية:

وأما بطلان القصة لغوياً فلأنه لم يرد قط عن العرب أنهم وصفوا آلهتهم (بالغرانيق) في الشعر ولا في النثر، والذي تعرفه اللغة أن الغُرنُوقُ، والغُرنَيْقُ، اسم لطائر مائي أسود أو أبيض، ومن معانيه الشاب الأبيض الجميل(80) ولا شيء من معانيه اللغوية يلائم معنى الإلهية والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح الكلام الذي يعرض على أمراء الفصاحة والبيان(81).

مما سبق يتضح بطلان قصة الغرانيق وإنها من وضع الزنادقة والحاقدين على هذا الدين ، الذين لا يألون جهداً في إلقاء شبهاتهم وبث سمومهم والطعن، في عقيدة المسلمين والتشكيك في آيات القرآن الكريم والتشكيك بمصداقية نبينا محمد ρ فيما يخبر به عن الله Y ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

8- بعد أن ذكرت آرمسترونغ قصة الهجرة إلى المدينة واستقرار رسول الله ρ بها تطرقت إلى موضوع تحويل القبلة، وقد ذكرت كلاماً جميلاً في هذا الصدد بعد ما ذكرت قوله تعالى : [قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ

(78)انظر: محمد رسول الله ρ: عرجون، مرجع سابق، ج1، ص37، 38.
(79)سورة النساء: الآية (123).
(80)انظر: لسان العرب: لابن منظور، مرجع سابق، ج5 ص31.
(81)انظر: السيرة النبوية: أبو شهبة، مرجع سابق، ج1 ص367.

الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ](82) ، فقالت:"أ- رأى بعضهم في تغيير القبلة ولادة دينية كانت الأكثر إبداعية وإلهاما فيما جاء به محمد ρ ، فبالتوجه نحو مكة كان المسلمون يعلنون بذكاء أنهم لا ينتمون إلى أي من المجتمعين القائمين ، بل يتوجهون فقط باتجاه الله ذاته .

ب- إن تغيير القبلة كان دلالة على هوية مسلمة جديدة تشعر بالاعتزاز، و بدأ المسلمون يكتسبون تدريجياً هوية مشتركة راحت تربطهم؛ إذ على الرغم من أنهم كانوا يتحدرون من قبائل منفصلة صار لهم عادات وأخلاق مشتركة، وكذلك سلوك وقيم واحدة، فجميعهم كانوا ينهضون في وقت واحد عندما كان يؤذن بلال لأداء الصلاة ، وكانت الزكاة تذكرهم بمسؤوليتهم المشتركة عن الفقراء "(83).

و إضافة إلى ما ذكرته آرمسترونغ في استنتاج الحكمة من تحويل القبلة أشير إلى ما يلي :

أ- سرعة الاستجابة لأمر الله عز وجل، فحينما أمر الله بتحويل القبلة توجه الصحابة نحو مكة وهم في صلاتهم ، وهذا فيه تمحيص لمن يستجيب لأمر الله ورسوله ρ، قال الله تعالى :[وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ](84) .

ب- إثبات نبوة محمد ρ ، فقد أخبر- سبحانه وتعالى- بما سيقوله اليهود قبل وقوع التحويل ، قال الله تعالى :[سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ](85) .

ج- كان لتحويل القبلة بُعد سياسي، حيث مهدت لفتح مكة .

9- بعد حديثها عن غزوة بدر تحدثت كارين عن زواج النبي ρ من حفصة بنت عمر_ رضي الله عنهم_ قائله :" استقبلت عائشة بسرور قدوم حفصة، ومع أنها كانت تمتلكها الغيرة من زوجات محمد ρ اللاحقات، إلا أن الصداقة التي كانت تربط بين أبويهما جعلتهما

(82)جزء من الآية (144) سورة البقرة .
(83)الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق ، ص 189 ، 190 .
(84)جزء من الآية (143) سورة البقرة .
(85)سورة البقرة الآية (142) .

حليفتين ،كانت عائشة ما تزال شابة ، ومن المحتمل أن حفصة كانت مُوجهة لها كان من الطبيعي أن تستمتع الاثنتان بإغاظة المرأة العجوز سودة ،فذات يوم قررتا أن تمازحانها ، أخبرتاها أن الدجال قد وصل أي النبي المزيف الذي كان بغيضاً مخيفاً للمسلمين ،خافت سودة كثيراً فبقيت في المطبخ مختبئة من هذا الشخص المرعب ثم اندفعتا إلى محمد صلى الله عليه وسلم تخبرانه بهذه الدعابة، فأسرع كي ينقذ المسكينة من ملجئها وقد علاها الغبار لكن الحياة لم تكن مسلية دائماً للزوجتين الشابتين، فعندما كانت عائشة في بداية عقدها الثاني طلب إليها محمد ﷺ مراقبة أسير حرب، فغفلت عنه، فهرب الرجل ، وعندما اكتشف محمد ρ ما حدث صاح بعائشة غاضباً: فليقطع الله يدك ، واندفع خارج غرفتها ليلاحق الأسير ، وبعد فترة أُلقي القبض على الأسير، وعاد إلى البيت، فوجد عائشة كئيبة تحدق بيديها، فسألها إن كان ألم بها شيء أو إن مسها جني، فأجابته أنها تتساءل عن أي يد سيقطعها الله ، فتأثر محمدρ واعتذر إليها في الحال، وأخبرها أنه سيدعو الله أن يبارك ويعفو عن أي امرئ سبق له أن لعنه أو دعا عليه"(86).

يلاحظ على هذه الرواية عدة ملاحظات، منها:

أ- إن قولها أن الأعور الدجال نبي مزيف، غير صحيح، إذ لم يرد ولم يذكر أن أطلق عليه هذا، وأكثر ما ورد عنه قولهم المسيح الدجال أو الأعور الدجال .

ب- وأما قولها إن عائشة وحفصة كانتا تمازحان سودة- رضي الله عنهن- ويخوفانها بالأعور الدجال فهذا فيه استخفاف بأمهات المؤمنين ، إذ هل سودة امرأة ساذجة أو ليس لها أي معرفة بأمور دينها لدرجة أنها تخاف أن المسيح الدجال قد خرج والنبي ρ قد أخبر بأنه سيخرج آخر الزمان ، كما أن عائشة وحفصة لا يمكن أن يصدر منهما مثل هذا، صحيح أن عائشة -رضي الله عنها- عرف عنها غيرتها لكن لم تصل إلى درجة أن تستخف بإحدى زوجات النبي ρ .

ج- أما مسألة دعاء النبيρ على عائشة وقولها أنه اعتذر منها، وأخبرها أنه سيدعو الله أن يعفو عن كل لعن أو دعاء، فهذا غير مقبول على الإطلاق أن ينسب إلى رسول الله ρ وحاشاه أن يصدر مثل هذا منه ρ، إذ لم يكن سباباً ولا لعان ، وهو كان خلقه القرآن.

10 – **ثم تطرقت آرمسترونغ إلى ذكر حادثة الإفك**، فقالت :" عندما وصل الركب المدينة رقدت عائشة مريضة وسمعت بالإشاعة تدريجياً، لأنها لاحظت أن محمداً (ρ) كان بارداً

(86)الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق ، ص212.

تجاهها وبعيداً عنها ، وطلب نقلها إلى منزل والدها، أبطأ الوحي على رسول الله(ρ) فذهب يستشير أصحابه ،فلم يكن باستطاعته استشارة أبي بكر في أمر ابنته، ولم يطلب رأي عمر إذ كان معروفاً بفظاظته حيال النساء، فتوجه إلى الجيل الأصغر سناً بدلاً من ذلك، فعندما سأل ربيبه زيد بن أسامة عن رأيه بعائشة تكلم لصالحها بحرارة ، وكذلك فعلت العبدة بريرة التي قالت لمحمد ﷺ : ما أعلم عنها إلا خيراً ، وما كنت أعيب عليها إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فيأتي الداجن فيأكله ، ينما كان علي متشككاً، وحين سُئل عن رأيه قال :" يا رسول الله ؛ إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستحلف، وسل الجارية فإنها تصدقك ، ولذلك لم تسامحه عائشة أبداً "(87).

من خلال ما ذكرته الكاتبة بشأن حادثة الإفك وما أوردته من قصة أنها قدمت سؤال الجارية بريرة على سؤال علي فعلي- رضي الله عنه- هو الذي أشار على رسول اللهρ سؤال الجارية؛ لأنها أكثر احتكاكاً بعائشة، فهي أعلم بها منه، وهذا دليل على أن علياً- رضي الله عنه- لم يكن يشك في أمر عائشة، وحاشاه ذلك أن يقدح بزوجة من وزوجات رسول اللهρ ، فقول آرمسترونغ أن موقف علي منها بهذه الحادثة جعلها تتخذ منه موقف ولم تسامحه أبداً فهذا غير صحيح .

إلا أن كارين آرمسترونغ ذكرت تعليقاً جميلاً بعد ما انتهت من سرد هذه الحادثة قائلة :" أوضحت هذه الحادثة أن عائشة أصبحت امرأة معتزة بذاتها ، وتمكنت من استعادة مكانتها في قلب محمد"ﷺ " ، وإذا ما نظرنا إلى معالجتها للأمر فإننا نجد الدليل على الثقة التي منحها الإسلام للنساء "(88).

11- عند حديثها على حادثة الإفك تطرقت إلى مسألة الحجاب، ويبدو أن كارين قد حصل لها لبس في هذه المسألة؛ إذ إنها ذكرت أن الحجاب كان خاصاً بنساء النبي ρ، فتقول :" علينا أن نتوقف قليلاً كي نناقش مسألة الحجاب ودستور الحجاب الإسلامي الذي يُعد في الغرب رمزاً لاضطهاد الأنثى، بينما هو في القرآن مجرد جزء من سلوك بسيط ينطبق على زوجات النبي(ρ) فقط ، ولم ينتشر في الإمبراطورية الإسلامية إلا بعد ثلاثة أو أربعة أجيال بعد وفاة النبي(ρ) ، فعلى ما يبدو دخلت عادة الحجاب وعزل النساء إلى العالم

(87)انظر : الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق ،ص234.
(88)الإسلام في مرآة الغرب، ص235 .

الإسلامي من فارس وبيزنطة حيث كان النساء يعاملن بهذه الطريقة منذ زمن بعيد في الحقيقة.

لم يكن المراد من الحجاب أو الغطاء الحط من قدر نساء محمد(ρ)، بل دلالة على مركزهن الرفيع ، وكما يبدو فقط أصبحت بعض النساء غيورات من مراكز نساء محمد(ρ) فطالبن بلبس الحجاب أيضاً، فقد رأت النساء اللواتي ارتدين الحجاب لأول مرة أنه رمز للسلطة والنفوذ ، وليس علامة لاضطهاد ذكوري، فزوجات الصليبيين أخذن يلبسن الحجاب آملات أن يلقين معاملة أفضل بعد أن رأين الاحترام الذي حظيت به النساء المسلمات "(89).

ويمكن الرد على ما ذكرته آرمسترونغ بأن الحجاب لم يكن خاصا بنساء النبي ρ، بل الأمر يعم جميع نساء المسلمين ، وليس عادة اقتبست، بل هو تشريع رباني كما أن الحجاب فرض على عهد النبي ρ، وما زال الأمر بالتزام النساء به قائماً إلى قيام الساعة ، قال الله تعالى :[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً](90) .

وهذا الخطاب القرآني صريح في أن الحجاب ليس خاصا بنساء النبي ρ.

12- بعد ذلك تحدثت عن الرسائل التي بعثها الرسول ρ إلى الملوك فقالت :" هناك خبر لم يرد في المصادر الأولى يفيد بأن محمداً (ρ) أرسل رسائل وهدايا نفيسة إلى إمبراطور بيزنطة وكسرى فارس ونجاشي الحبشة ومقوقس مصر يدعوهم فيها إلى الإسلام ، ونكاد نجزم أنه ما من دليل على أن محمداً (ρ)كان يرى الإسلام ديناً عالمياً ، وأنه سينسخ إيحاءات أهل الكتاب ، بل كان الإسلام ديناً لأبناء إسماعيل مثلما اليهودية ديناً لأبناء يعقوب ، وقد استمر المسلمون طوال مئة سنة بعد وفاة محمد(ρ) يعتبرون الإسلام ديناً للعرب فقط ، وفي الرسائل التي وصلتنا لم يطلب محمد(ρ) من هؤلاء الحكام سوى قبوله نبياً ، إذ كان يعتقد أن الله قد أرسله نبياً لجميع العرب "(91).

(89)انظر: المرجع السابق ،ص231.
(90)سورة الأحزاب الآية (59) .
(91)انظر: المرجع السابق ، ص248.

يؤخذ على كلام آرمسترونغ أنها تنفي أن يكون دين الإسلام دينا عالمياً؛ إذ تجزم بأنه ليس هناك أي دليل يثبت أن الرسول ρ كان يرى الإسلام دينا عالمياً ، ويمكن الرد على ما ذكرته بالآتي :

هناك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة تدل على عالمية الإسلام

أ- أدلة القرآن الكريم :

قال الله تعالى :[قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً](92) ، وقال الله تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ](93) ،

وغيرها من الأدلة إذ لا يكفي المقام لذكرها جميعها .

ب- أدلة السنة :

عن جَابِرُ بن عَبْدِ اللهِ τ أَنَّ النَّبِيَّ ρ قَالَ: ((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً))(94).

وجه الاستدلال بهذا الحديث:

يدل هذا الحديث على عموم رسالته ρوأنها من أصل البعثة، كما يدل على بقاء شريعته ρ إلى يوم القيامة، وظاهر الحديث يقتضي أن كل واحدة من الخمس المذكورات لم تكن لأحد قبله ρ(95).

و عن أَبِى هُرَيْرَةَ τ أن رَسُولِ اللهِ ρ قَالَ: ((والَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ))(96).

---

(92)جزء من الآية (158) سورة الأعراف .
(93)سورة سبأ الآية (28) .
(94)رواه البخاري: باب فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا"، ج1 ص209، 210حديث رقم (323).
(95)انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ج1، ص523.
(96)رواه مسلم: باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، ج1ص171، حديث رقم (303).

وجه الاستدلال بهذا الحديث:

يدل هذا الحديث على نسخ الملل كلها برسالة نبينا ρ، (وقوله ρ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة)أي من موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليهم الدخول في طاعته[97].

12- وختمت آرمسترونغ كتابها بذكر وفاته ρ،وعند حديثها عن وفاته ﷺ ذكرت أن عائشة رضي الله عنها عندما علمت بوفاته "فوضعت رأسه على الوسادة ، وبدأت تضرب صدرها ، وتصفع وجهها ، وأخذت تندب وتولول"[98].

إن نسب التصرف من عائشة عندما أكتشفت وفاة النبي ρ لا ينبغي؛ إذ إن هذا الأمور قد نهى عنها الرسول ﷺ حيث قال :((ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب ، أو دعا بدعوى الجاهلية))[99] فكيف لعائشة رضي الله عنها أيبدر منها مثل هذا الفعل .

الخلاصة :

بعد استعراض مواضيع الكتاب اتضح أن الكاتبة آرمسترونغ قد استوعبت جميع النواحي الخاصة بسيرته ρ منذ ولادته حتى مماته ، وفي كل موضوع تعقد مقارنة وترد على شبهة يثيرها الغرب، فهي محاولة منها لمدّ القارئ الغربي بصورة حقيقية عن الإسلام ، وإن تخلل كتابها بعض الأخطاء ،ولعله نتج هذا عن سوء فهم منها ، إلا أن هذا لا يقدح بالمجهود التي قامت به .

المطلب الثاني : كتاب بعنوان: " النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام

في هذا الكتاب عملت آرمسترونغ على تحديد زمن ظهور مصطلح الأصولية، وأنها بدأت بالظهور في أواخر القرن العشرين وأسمتها بالتقوى المسلحة ، وأنها ليست حكرا على الأديان التوحيدية، بل موجودة حتى في الأديان الوضعية كالبوذية والهندوسية و الكونفوشيوسية ،وأنهم أناس متزمتون فكريا من كل دين ليس لديهم متسع للديموقراطية، أو، الحرية، أو ،التعددية أو التسامح الديني، يرفضون كل حديث .

وفي هذا المطلب سيتم ذكر أبرز المواضيع التي تحدثت عنها في هذا الكتاب :

---

(97)انظر شرح صحيح مسلم: النووي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط2، ج1 ص279.
(98)الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق ، ص300.
(99)رواه مسلم : باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب ، ج1ص99، حديث رقم (165).

كان أول موضوع تحدثت عنه آرمسترونغ توضيح معنى كلمة أصولية، ثم ذكرت تاريخها وأنها بدأت في الديانة البروتستانتية، وأن الأمريكيين البروتستانت أول من استخدمها .

ثم بينت أن هناك اختلافا في معنى الكلمة في اللغة الإنجليزية عن اللغة العربية، والتي تعني الأصولية فيها دراسة أصول القواعد والمبادئ في الشريعة الإسلامية، لكن في الغرب لا يعنون بالعلم الشرعي(100) .

و درست في كتابها أربع أصوليات : الأصولية الأمريكية ، الأصولية اليهودية في اسرائيل ، الأصولية الإسلامية في مصر وإيران .

ومما سبق تبين عداء جميع الأصوليات للعلمانية ، وأن الأصولية الغربية إنما هي ردة فعل للحضارة العلمانية الحديثة .

الفصل الأول : تحت عنوان (اليهود المبشرون) ذكرت هروب اليهود الذين تعرضوا هم والمسلمون إلى حركة تطهير عرقي أدت إلى فقدانهم أوطانهم، فهربوا بعد استيلاء النصارى على الأندلس إلى الدولة العثمانية، وأنهم لاقوا ترحيبا حارا وبينت تسامح المسلمين مع اليهود في جميع مراحل الدولة الإسلامية المختلفة ، على عكس الدولة المسيحية التي فرضت دينها بالإكراه وحكمت على الرافضين بالموت والطرد، حيث طردوا من شتى المناطق والمدن الأوروبية، وتحول بعضهم مثل يهود السفار ديم في البلقان إلى " انتظار خروج المسيح " وبعضهم انتقل إلى فلسطين ، وبعض من بقي تحول إلى الكاثوليكية أو انتشر بينهم الإلحاد ، وبعضهم هاجر إلى مدن كهامبورغ وغيرها وكونوا مناطق خاصة بهم " الغيتو " وتواصل حديثها عن تاريخ شتات اليهود في عدة مناطق من أوروبا، حيث بعضها محدود الحرية والبعض الآخر ينعم بحرية وسعة عيش في هولندا على سبيل المثال(101) .

وهذا يبين سماحة الإسلام مع المخالفين له؛ إذ إن الإسلام لا يجبر أحد على الدخول فيه، قال الله تعالى :(لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)(102)كما أن فيه رد الشبهات التي يثيرها الغرب بأن الإسلام قد انتشر بقوة السيف، فالفتوحات التي قامت بها الدولة الإسلامية إنما كانت من

(100)النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية و الإسلام : كارين ارمسترونج ، ترجمة محمد الجورا ، ص10.
(101)انظر: النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام ، مرجع سابق ،ص17– 46.
(102)جزء من الآية (256) سورة البقرة .

أجل تأمين الدعوة وكفالة حرية التعبير والإقناع ، ومن خلال ما ذكرته آرمسترونغ فقد فضح التاريخ المسيحي الدموي تجاه من يخالفهم .

و في الفصل الثاني : (المسلمون الروح المحافظة) ذكرت أن مسلمي أوروبا هم ضحايا_ أيضا _ للاحتلال المسيحي، ولكن لم يتأثروا كاليهود، حيث يعد المسلمون قوة سياسية واقتصادية فهم قادرون على احتواء التحديات، وهم المؤسسون لثلاث إمبراطوريات عظيمة تعد عالما متكاملا، فالدولة العثمانية بلغت الذروة في عصر سليمان القانوني(103)، واستولت " الروح المحافظة " على العالم الإسلامي، وتوضح ذلك قائلة :" سمة المجتمعات ما قبل الحداثة ، والمجتمع المحافظ إما استولت عليه الروح الغربية الحديثة بكل قوة، أو أنه يمر بمرحلة العبور الصعب من الروح المحافظة إلى روح الحداثة، وأغلب الأصولية هي رد فعل على هذا التحول المؤلم"(104).

وفي تحليل جيد تبين بعض أسباب حدوث الضعف في الدولة الإسلامية، فتقول : أعلنت الدولة العثمانية إغلاق أبواب الاجتهاد ، فبدلا من البحث عن حلول جديدة كان عليهم الخضوع للقواعد الموجودة. وأيضا :" كان تجاهل المسلمين لقوانين الوجود الأساسية عندما أوجدوا مجتمعات جور تضطهد الضعفاء وترفض اقتسام الثروة بالعدل .

ثم بينت شعائر المسلمين بطريقة غلبت عليها الفلسفة كذلك .

كما بينت أنه على الحداثي أن يفهموا العالم الإسلامي، فبعض المسلمين يهتمون بشيئين :

الأول :أنهم يمقتون علمانية المجتمع الغربي

والثاني: أنهم يريدون رؤية مجتمعاتهم وقد أصبحت تحكم وفقا للشريعة و القانون المقدس في الإسلام.

---

(103)سليمان خان الأول بن سليم خان الأول ، كان عاشر السلاطين العثمانيين وخليفة المسلمين الثمانين، وثاني من حمل لقب "أمير المؤمنين" من آل عثمان، بلغت الدولة الإسلامية في عهده أقصى اتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت، وصاحب أطول فترة حكم من 6 نوفمبر 1520م حتى وفاته في 7/6/5 سبتمبر سنة 1566م خلفاً لأبيه السلطان سليم خان الأول وخلفه ابنه السلطان سليم الثاني، عُرف عند الغرب باسم سليمان العظيم ، وفي الشرق باسم سليمان القانوني لما قام به من إصلاح في النظام القضائي العثماني. أصبح سليمان حاكمًا بارزًا في أوروبا في القرن السادس عشر، يتزعم قمة سلطة الدولة الإسلامية العسكرية والسياسية والاقتصادية، قاد سليمان الجيوش العثمانية لغزو المعاقل والحصون المسيحية في بلغراد ورودوس وأغلب أراضي مملكة المجر قبل أن يتوقف في حصار فيينا في1529 م،ضم أغلب مناطق الشرق الأوسط في صراعه مع الصفويين ومناطق شاسعة من شمال أفريقيا حتى الجزائر تحت حكمه، سيطرت الأساطيل العثمانية على بحار المنطقة من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر حتى الخليج. انظر: ويكيبديا ،http://ar.wikipedia.org/wiki/

(104)انظر: النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام ، مرجع سابق ، ص48.

ثم تحدثت عن الحكم الإسلامي في الدولة العثمانية وتنظيماته، وتاريخ الدول الإسلامية ،وظهور المذاهب الأربعة، وأن المجتمع الإسلامي لم يكن مجتمعا سكونياً، بل ثوريا، وذكرت تجديد ابن تيمية رحمه الله، قالت :" لكن برنامجه الإصلاحي اتخذ شكلا محافظا ".

تحدثت عن مصر، ثم عن التدهور في الدولة العثمانية، وتحدثت عن إصلاح الشيخ محمد بن عبدالوهاب " فكون دولة خاصة به في وسط شبه الجزيرة، كان عبدالوهاب مصلحا إسلامياً نموذجيا، لقد واجه الكارثة الراهنة بالعودة إلى القرآن والسنة ويرفض الفقه القروسطي والتصوف والفلسفة، لقد رفضها لأنها كانت انحرافا عن هذا الإسلام النقي .

ثم تحدثت عن ابن إدريس(105) وحركته الإصلاحية التعليمية، ثم ذكرت بعض الإصلاحيين الآخرين مثل السنوسي(106) في ليبيا .

ثم تحدثت عن إيران وإجبار الدولة الصفوية الناس على التشيع ، وتحدثت عن التشيع وتاريخه_ أيضا_ بطريقة فلسفية ، وعن طقوسه وشبهه بالنصرانية ومسيحها المنتظر، وعن المواكب الحسينية وتعقيداتها، فتحدثت عن عدم قناعة الشيعة بالقرآن وعن قضية الإمامة وغيبة الإمام ، تقول :"ليس بالإمكان تفسير أسطورة الإمام عقليا ، إلا أنها تتخذ معنى من الممارسات الطقسية الباطنية إن نفهم القصة على أنها لاغوس، أي قصة يجب أن تفسر حرفيا كإفصاح واضح، للحقيقة عند ذلك تثار جميع الأسئلة :إلى أي مكان ذهب

---

(105)هو السيد أحمد بن إدريس العرائشي اليملحي العلمي الحسنى أبو العباس، أحد أعلام التصوف في بلاد المغرب ولد بميسور (من قرى فاس بالمغرب سنة (1172هـ - 1758م). تعلم بفاس وقرأ الفقه والتفسير والحديث، وأسس الطريقة الإدريسية المعروفة أيضا بالطريقة الأحمدية، وانتقل إلى مكة سنة 1214ه فأقام نحو ثلاثين سنة، ثم رحل إلى المخلاف السليماني سنة 1246هـ فعاش ودفن في" صبيا"، وقام أحد مريديه واسمه السيد إبراهيم بن الشيخ السيد صالح الرشيدي بجمع بعض كلامه وآرائه ومروياته في كتاب سماه" العقد النفيس"، " وقد سلك السيد أحمد الطريقة الناصرية الشاذلية ثم سافر إلى مصر ودخل الأسكندرية ثم إلى صعيد مصر ثم سافر إلى مكة ومكث هناك فترة ، تتلمذ على يديه كثير من العلماء، ثم عاد إلى مصر وبقى بها مدة، وله في صعيد مصر ذرية من ولده الإمام عبد العال ثم استقر بصبيا ومات دفن هناك.انظر: ويكبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki/

(106)الإمام أبو عبد الله السنوسي هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، نسبة لقبيلة بالمغرب، ويلقب_ أيضاً_ بالحسني، نسبة للحسن بن علي بن أبي طالب من جهة أم أبيه، وهو تلمساني_ أيضاً_ نسبة إلى بلدة تلمسان، وهو عالم تلمسان وصالحها وزاهدها وكبير علمائها، نشأ الإمام السنوسي خيراً مباركاً فاضلاً، أخذ العلم عن جماعة، منهم والده المذكور والشيخ العلامة نصر الزواوي والعلامة محمد بن توزت والسيد الشريف أو الحجاج يوسف بن أبي العباس ابن محمد بن شريف الحسني، وقد أخذ عنه القراءات، وأخذ عن الإمام محمد بن العباس الأصول والمنطق ,وعن الفقيه الجلاب الفقه , وعن غيرهم من أئمة وعلماء عصره، وكان آية في علمه وهديه وصلاحه وسيرته وتوقيه، لما أحس السنوسي بمرض الموت انقطع عن المسجد ولازم فراشه حتى مات، ومرض عشرة أيام، ولما احتضر لقنه ابن أخيه مرة ،بعد مرة فالتفت إليه وقال: "وهل ثم غيرها"، وتوفي يوم الأحد 18 جمادى الآخرة سنة 895 للهجرة.انظر: ويكيبديا http://ar.wikipedia.org/wiki/

الإمام ؟ هل كان على الأرض ؟هل يتقدم في السن؟ كيف استطاع أن يرشد المؤمنين اذا لم يكن بوسعهم أن يسمعوه أويروه؟)(107).

تبين أن آرمسترونغ لم ترق لها قصة المهدي الذي ينتظره الشيعة؛ إذ إن ما يدعيه الشيعة يتنافي مع العقل، فهي قصة من نسج الخيال ، فقد ذكرت وهي تنكر هذه القصة التي روجها الشيعة حول مهديهم المنتظر قائلة :" عبد الشيعة إلهاً لا مرئياً لا سبيل إلى معرفته ، لقد أصبح الإمام الغائب أسطورة ، لقد تم تحريره من قيود الزمان والمكان بعد أن أخرج من مسار التاريخ العادي "(108).

ثم تحدثت عن ضعف الدولة الإسلامية وتخلفها الفكري في القرن الثامن عشر، ثم الهجمة الغربية على المدن الإسلامية، وحملة نابليون بونابرت على مصر وأن دخول الغرب إلى العالم الإسلامي سيؤدي إلى تغيره .

الفصل الثالث : (المسيحيون عالم جديد شجاع)، تحدثت فيه عن تاريخ المسيحيين في القرن الرابع عشر والخامس عشر، وبينت الجهل الذي يعانون منه، حيث تقول:" خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر كان الموت الأسود ـالطاعون ــ قد أتى على ثلث السكان المسيحيين في أوروبا ، وكانت بلدان أوروبا قد خربتها صراعات غير محدودة بمدة زمنية مثل حرب المئة عام بين انجلترا وفرنسا وحروب إيطاليا.." (109).

ثم ذكرت بدايات دخولهم عصر العلم ،كما أوضحت النفسية الأوروبية التي ترى أن العداء لازم للدين ، ثم بينت مراحل تخليهم عن الدين وتنقلهم بين المذهب الإنساني إلى المذهب الطبيعي إلى الإلحاد.

وعن انتشار العنف تقول :" كان على أوروبا والمستعمرات الأمريكية أن تتكيف مع هذه التحولات في نظم سياسية مختلفة ، كانت هذه الحقبة حقبة عنيفة ، شأنها شأن أية حقبة يحدث فيها تحول اجتماعي بعيد المدى، حدثت حروب مدمرة وثورات واقتلاع عنيف ونهب للريف وصراع ديني مشين طوال ثلاثمائة عام ، كان على الأمريكيين و الأوربيين أن يستخدموا أساليب لا ترحم كي يخاطبوا مجتمعاتهم ، حدث سفك دماء واضطهاد

(107)انظر: النزعات الأصولية ،مرجع سابق ،ص65.
(108)انظر: المرجع السابق والصفحة نفسها .
(109)انظر: المرجع السابق ، ص 77.

ومحاكم تفتيش ومذابح واستغلال واستعباد ووحشية ، إننا نشهد الثوران الدموي ذاته في البلدان التي دخلت مسيرة الحداثة المؤلمة.." (110)

ذكرت تطور العلوم الطبية والميكانيكية وزيادة الاكتشافات والابتكارات واعتماد الناس في الغرب الديموقراطية لتنظيم المجتمع الحداثي .

تحدثت عن حركات الإصلاح الأوروبية للوثر وكالفن، وكانت الحياة تتحول إلى العلمنة ببطء " وحركة الإصلاح البروتستانتية بالرغم من قوة دافعها كانت تتخذ صبغة علمانية أيضا... كان لوثر أحد أوائل الأوربيين الذين يعلمنون الدين في دفع العقل خارج عالم الدين "(111) كما ذكرت الحروب التي وقعت بين البروتستانت والكاثوليك .

تحدثت عن بدايات تطور العلم ومواجهة العلماء لمحاكم التفتيش ،كوبرنيكوس وجاليليو ثم إسحاق نيوتن وقانون الجاذبية الذي ذكر فيه أنه أثبت وجود الله الميكانيكي العظيم ، وبينت هوس نيوتن بتطهير المسيحية، فهو لازال متدينا حيث يقول في كتابه الأصول الفلسفية للاهوت غير اليهودي :" إن نوحا قد أسس دينا خاليا من الخرافات ..) وذكر فيه زيادة اللاهوتيين لعقيدة التثليث والتجسيد ، ثم تحدثت عن الفلسفات التي انتشرت فيما بعد بداية بكتاب تقدم العلم لبيكون الذي رأى أن كل حقيقة يجب إخضاعها للطرائق النقدية ثم بينت فلسفة ديكارت العقلية وهوبز وجون لوك ، وبينت نظرية التطور لدى داروين وتأثيرها على العلم والحياة في الغرب.

ثم ذكرت تاريخ الاستعمار الأوروبي للأمريكيتين والمذاهب المنتشرة هناك وتاريخ استقلال المهاجرين هناك عن أوروبا، وبينت سيطرة البروتستانت هناك وظهور حركات الإصلاح الإنجيلية وازدهار حركات مناصرة المرأة ، وظهور الايفانجليون الذين أحدثوا تأثيراً أبديا على الحضارة الأمريكية التي أصبحت أكثر مسيحية(112)..

في الفصل الرابع : "اليهود والمسلمون يحدثون" ، تحدثت عن إشكالية الحداثة بالنسبة للمسلمين واليهود ، فكان منظرو الحداثة والتنوير يتحدثون عن التسامح ، ولكنهم في الحقيقة ينظرون إلى اليهود نظرة كراهية، فقد أخبر فولتير " بأنهم أمة جاهلة تماما" وأسمى هو لباخ اليهود أعداء الجنس البشري " وهكذا توالت الأوصاف السيئة من قبل

(110)انظر: النزعات الأصولية ، ص78.

(111)انظر: المرجع السابق ،ص83 .

(112)انظر: النزعات الأصولية ، ص 113.

كانط وهيجل، وحتى ماركس اليهودي قال " إن اليهود كانوا مسئولين عن الرأسمالية " ، وبينت تاريخ اليهود في أوروبا وكيف أنه ظهر بينهم مجموعة من الأغنياء لا يوزعون الضرائب بإنصاف و أن الأحبار يساندونهم ولم يعيروا اهتماما للفقراء، فحدث فراغ روحي وانحطاط فتكون " الهاسيدية " ومعناها الأتقياء وهم مجموعة تنتقد الرهبان يقودها رجل يدعى البيشت، وأصبحت حركة جماهيرية ضد المؤسسة الدينية، ووصفت حياتهم وشعائرهم ،وبينت إنكارهم للحداثة وفصلهم الدين عن السياسة، ثم بينت بعض الفرق اليهودية كأتباع زلمان ودراستهم للتوراة وأيضا برعوا في العلوم الطبيعية، ثم أتت حركة التنوير اليهودية على يد موسى مندلسون، وقد راقت دعوته لليهود الذين أرادوا الخروج من الغيتو والانغماس في تيار الحضارة الأوروبية، وقد قاومه اليهود المتعصبون ، وقد بث اليهود فكرة الحرية و الإخاء والمساواة في كل الثورات التي عمت أوروبا؛ وذلك لتجبر كل إمارة على تحرير اليهود ، ثم تحدثت عن حركة الإصلاح اليهودية وتأثرها بفلسفة هيجل وكانط .

ثم تحدثت عن المسلمين وبداية الغزو الأوروبي لمصر ومقاومة المسلمين لها وعدم قبولهم لما يحمله من أفكار واعتبروه كافرا مسيحيا ، ثم دخول الاستعمار البريطاني ثم المقاومة الإسلامية لهذا الغزو، وبينت تأثر محمد على بالأوربيين ونيته في نشر الحداثة في مصر وكان ذلك بطريقة عنيفة ،ثم بدأ بتقليد الغرب وأسس مدارس تدرس بطرقهم ،وبينت مقاومة علماء مصر له . كذلك بينت أن هناك حركة حداثة في الدولة العثمانية وكذلك إيران، وكيف أن الشاه في القرن التاسع عشر أرسل وفودا من الطلاب إلى أوروبا، وانتشرت الحداثة هناك وإن قوبلت بمقاومة من الناس والعلماء، وتحدثت عن ظهور الدعوة البابية والبهائية .

دائما ما تشير الكاتبة إلى نشر الحداثة بالعنف والقتل والدماء .

الفصل الخامس تحدثت عن نزعة الأصولية وأن النزعة الحداثية سببت القلق وأن العقل لم يستطع مخاطبة المسائل المطلقة ، تقول " بدأ الناس في الانكماش من الحضارة التي أوجدوها" ، وتحدثت عن مساوئ المدن الصناعية الكبرى وعن سباق التسلح المسعور، فأصاب الناس رعب الحرب المستقبلية وخضع لهذا بعض البروتستانت في أمريكا الشمالية، وتجد المبشرين عن حرب ارم جدون قادمة " وتحدثت عن مساوئ الرأسمالية وعمل الأطفال والنساء وظروف العمل ومدته الطويلة ، وبينت أن بعض المسيحيين بدأوا بالتعبئة للصراع وكان منهم دوايت مودي " الذي أطلق عليه لقب الأصولية الأمريكية ،

ولكن ما يميز دعوته أنه كان مسالما يتعامل مع جميع المذاهب المسيحية ، كما بينت أن الولايات المتحدة أمة بروتستانتية كليا ، ثم تحدثت عن اليهود وتاريخ اندماجهم في الأمم الأوروبية وما تعرضوا له من حركات تطهير في روسيا وظهور الصهيونية فيما بعد، وهي نتاج الحداثة، وذكرت المشروع الصهيوني وتمكنه من فلسطين ، تقول:" فمن خلال الصهيونية دخلت الحداثة العلمانية إلى الحياة اليهودية وغيرتها إلى الأبد ، فبدلا من التأمل صوفيا بالعودة قام الصهاينة باستيطان الأرض ماديا واستراتيجيا وعسكريا ، في هذه السنوات المبكرة عدت الأغلبية الساحقة من اليهود الأرثوذكس هذه الخطوة تجديفا على وجود مقدس وكان تدنيسا متعمدا تحدى قرونا من التراث الديني" (113)وبينت أن الصهاينة العلمانيين يكرهون الدين وكان كثير منهم ملحدين ، كما تقول " لقد بين شعارهم " أرض من دون شعب ، لشعب بدون أرض " تجاهلا تاما لحقيقة أن هذه الأرض مسكونة من قبل العرب الفلسطينيين الذين كان لديهم الأحلام الخاصة ببلادهم "، تقول لقد خبر المسلمون الحداثة على أنها عدوانية غازية واستغلالية اعتاد الغربيون على سماع الأصوليين المسلمين وهم ينعتون قيم مثل العلمانية والديموقراطية بأقذع النعوت ، ثم تحدثت عن حركات تطور في إيران، إلا أن العلماء كانوا ضدها، ثم تحدثت عن حركات الحداثة في مصر والبعثات لأوروبا وترجمة الكتب الغربية وتأثير مسيحيي الشام في تطور الحداثة في مصر وعن رفاعة الطهطاوي(114)وعن فكر جمال الدين الأفغاني(115)وتلميذه محمد عبده(116)، ثم تحدثت عن نظرة المستعمرين لنظرة كرومر

---

(113)انظر: النزعات الأصولية ، مرجع سابق ، ص169.

(114)رفاعة رافع الطهطاوي من قادة النهضة العلمية في مصر في عهد محمد علي باشا، وُلد رفاعة رافع الطهطاوي في 15 أكتوبر 1801، بمدينة طهطا إحدى مدن محافظة سوهاج بصعيد مصر، يتصل نسبه بالحسين السبط نشأ في عائلة ملحوظة من القضاة ورجال الدين، فلقي رفاعة عناية من أبيه، فحفظ القرآن الكريم، وبعد وفاة والده رجع إلى موطنه طهطا، ووجد من أخواله اهتماماً كبيراً، حيث كانت زاخرة بالشيوخ والعلماء، فحفظ على أيديهم المتون التي كانت متداولة في هذا العصر، وقرأ عليهم شيئا من الفقه والنحو، التحق رفاعة وهو في السادسة عشرة من عمره بالأزهر في عام 1817وشملت دراسته في الأزهر الحديث والفقه والتفسير والنحو والصرف، وغير ذلك. خدم بعدها كإمام في الجيش النظامي الجديد عام 1824 توفى رفاعة الطهطاوى سنة 1290 هـ، عن عمر ناهز اثنتين وسبعين سنة، انظر : ويكيبديا ، http://ar.wikipedia.org/wiki/

(115)محمد جمال الدين بن السيد صفتر الحسيني أو الأفغاني أو الأسد آبادي أحد الأعلام البارزين في النهضة المصرية ومن أعلام الفكر الإسلامي بالنسبة للتجديد، ولد جمال الدين عام 1839م قيل = =إنه فارسي المولد و التربية ،ويرتقي نسبه إلى عمر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه، ومن هنا جاء التعريف عنه بالسيد جمال الدين الأفغاني. وقد تربي دينيا ليكون مسلما صوفيا، ولكن عُرف كونه من المسلمين الأصولين،وكانت وفاته صبيحة الثلاثاء 9 مارس سنة 1897م، وما أن بلغ الحكومة العثمانية نعيه حتى أمرت بضبط أوراقه وكل ما كان باقياً عنده، وأمرت بدفنه من غير رعاية أو احتفال في مقبرة المشايخ بالقرب من نشان طاش، فدفن كما يدفن أقل الناس شأنا

الذي يرى أن التخلف ملازم للشعب المصري، وكانوا بحاجة لأن يُستعمروا من أجل مصلحتهم .

وفي الفصل السادس: "الأصول" ، تحدثت عن الحرب العالمية الأولى وآثارها على المجتمع الأوروبي، وبينت أن التكنولوجيا سبب من أسباب قيام الحرب، وتحدثت عن الحداثة في العلم و الادب في أوروبا وتحدثت عن انتشار الدين في الولايات المتحدة وتحول البروتستانتية المحافظة إلى أصولية، تقول "لقد كان هذا التدين الأصولي ردة على العالم الحديث".

تحدثت عن محاولة علماء اليهود إعادة الصهيونية إلى الدين، ومنهم إبراهام إسحاق كوك والذي قدم هرتزل على انه المسيح المنتظر، ثم ذكرت تحديث تركيا على يد أتاتورك، وتحدثت عن علي عبدالرازق وتصدي محمد رشيد رضا له الذي كان يرى التصدي للأجنبي بالعودة إلى الأصيل، ويرى ابن تيمية و ابن عبدالوهاب نموذجا (رحمهم الله)،ثم تحدث عن ظهور النزعة القومية في مصر وإيران .

وفي الفصل السابع :" ثقافة مناهضة " تحدثت عن الخواء الروحي الذي تركته الحداثة ، وقد تفاجأ العلمانيون بعودة الدين الذي اعتقدوا أنهم أزاحوه ، وما يدل على خوائهم الحروب التي قتل فيها ملايين البشر في أوروبا والاتحاد السوفييتي ، ومحرقة الهولوكوست(117) .

في تركيا، تم نقل جثمانه من تركيا في عام 1944 في موكب إسلامي مهيب إلى بلده أفغانستان، حيث دفن في مدينة كابل، ويقع ضريحه حاليا في وسط جامعة كابل.انظر: ويكيبديا ،http://ar.wikipedia.org/wiki/%

(116)ولد محمد بن عبده بن حسن خير الله سنة 1266 هـ ، في قرية محلة نصر بمركز شبراخيت في محافظة البحيرة، لأب تركمانى وأم مصرية تنتمي إلي قبيلة (بني عدي) العربية ، عالم دين و فقيه ومجدد إسلامي مصري ، يعد أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي و من دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي ، أسهم بعد التقائه بأستاذه جمال الدين الأفغاني في إنشاء حركة فكرية تجديدية إسلامية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تهدف إلى القضاء على الجمود الفكري والحضاري و إعادة إحياء الأمة الإسلامية لتواكب متطلبات العصر، يقول عن التصوف : "قد اشتبه على بعض الباحثين في تاريخ الإسلام وما حدث فيه من البدع والعادات التي شوَّهت جماله السبب في سقوط المسلمين في الجهل، فظنوا أن التصوف من أقوى الأسباب، وليس الأمر كما ظنوا"، توفي 7جمادى الأولى 1323 هـ توفى الشيخ بالإسكندرية بعد معاناة من مرض السرطان عن سبع وخمسين سنة، ودفن بالقاهرة ورثاه العديد من الشعراء. انظر: ويكيبديا ، http://ar.wikipedia.org/wiki/

(117)هولوكوست مصطلح استخدم لوصف الحملات الحكومية المنظمة من قبل حكومة ألمانيا النازية وبعض حلفائها لغرض الاضطهاد والتصفية العرقية لليهود في أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية ، أول مرة استعملت فيها كلمة هولوكوست لوصف طريقة معاملة هتلر لليهود كانت في عام 1942 ولكن الكلمة لم تلق انتشاراً واسعا إلى الخمسينيات، ومع السبعينيات أصبحت كلمة هولوكوست تستعمل حصرياً لوصف حملات الإبادة الجماعية التي تعرض لها اليهود بالتحديد على يد السلطات الألمانية أثناء هيمنة الحزب النازي بقيادة أدولف هتلر .اليهود أنفسهم كانوا يستعملون كلمة شواه في الأربعينيات بدلا من هولوكوست، وهي كلمة مذكورة في التوراة، وتعني الكارثة ، انظر: ويكيبديا ، http://ar.wikipedia.org/wiki

ويظهر تحليلها الجيد حين تقول عن تكون سبب الأصولية :" بدأ الأصوليون في أديان الوحدة الثلاثة ينسحبون من التيار الرئيس في المجتمع في منتصف القرن العشرين كي يخلقوا ثقافات مناهضة ..".

في الفصل الثامن : "التعبئة" تحدثت عن ستينات القرن العشرين، تقول " كان الجو مشبعا في أوروبا والشرق الأوسط بالثورة " فثار الشبان وخرجوا على آبائهم في أشكال عديدة ، بعضهم بحياة أكثر دينية ، وبعضهم وجد التسامي في تعاطي المخدرات ، وكان هناك رفض للنزعة العقلانية فكان هناك بحث عن الروحانيات ، ذكرت تعرض الأديان لهجمات، مثل تعرض الإسلام لهجوم ثورة جمال عبدالناصر (118) في مصر وكذلك في الشام، ثم ذكرت فكر المودودي (119) الذي قدم الإسلام بطريقة منهجية عقلية، ثم تحدثت

(118)جمال عبد الناصر حسين ثاني رؤساء مصر، تولى السلطة من سنة 1956، إلى وفاته سنة 1970 وهو أحد قادة ثورة 23 يوليو1952 التي أطاحت بالملك فاروق آخر حاكم من أسرة محمد علي، والتي شغل منصب نائب رئيس الوزراء في حكومتها الجديدة،وصل جمال عبد الناصر إلى الحكم عن طريق وضع محمد نجيب الرئيس حينها تحت الإقامة الجبرية، وتولى رئاسة الوزراء ثم رئاسة الجمهورية باستفتاء شعبي يوم 24 يونيو 1956 أدت سياسات عبد الناصر المحايدة خلال الحرب الباردة إلى توتر العلاقات مع القوى الغربية، التي سحبت تمويلها للسد العالي، الذي كان عبد الناصر يخطط لبنائه، ورد عبد الناصر على ذلك بتأميم شركة قناة السويس سنة 1956، ولاقى ذلك استحساناً داخل مصر والوطن العربي، وبالتالي قامت بريطانيا، وفرنسا، وإسرائيل باحتلال سيناء، لكنهم انسحبوا وسط ضغوط دولية، وقد عزز ذلك مكانة عبد الناصر السياسية بشكل ملحوظ، ومنذ ذلك الحين نمت شعبية عبد الناصر في المنطقة بشكل كبير، وتزايدت الدعوات إلى الوحدة العربية تحت قيادته، وتحقق ذلك بتشكيل الجمهورية العربية المتحدة مع سوريا بعد اختتام قمة جامعة الدول العربية سنة 1970، تعرض عبد الناصر لنوبة قلبية وتوفي، وشيع جنازته في القاهرة أكثر من خمسة ملايين شخص، يعتبره مؤيدوه في الوقت الحاضر رمزاً للكرامة والوحدة العربية والجهود المناهضة للإمبريالية، بينما يصفه معارضوه بالمستبد، وينتقدون انتهاكات حكومته لحقوق الإنسان، تعرض عبد الناصر لعدة محاولات اغتيال في حياته، كان من بينها محاولة اغتيال نسبت لأحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، وقد نفت الجماعة علاقتها بالحادثة أمر ناصر بعد ذلك بحملة أمنية ضد جماعة الإخوان المسلمين، يصف المؤرخون ناصر باعتباره واحداً من الشخصيات السياسية البارزة في التاريخ الحديث للشرق الأوسط في القرن العشرين. انظر: ويكيبديا http://ar.wikipedia.org/wiki/

(119)أبو الأعلى المودودي ، ولد في يوم الجمعة بمدينة جيلى بورة القريبة من أورنج أباد في ولاية حيدر أباد بالهند من أسرة مسلمة محافظة اشتهرت بالتدين والثقافة، لم يعلمه أبوه في المدارس الإنجليزية واكتفى بتعليمه في البيت، درس على أبيه اللغة العربية والقرآن والحديث والفقه، وكانت أسرته أسرة علم وفضل، بدأ المودودي العمل في الصحافة عام 1337 هـ. وأصدر مجلة ترجمان القرآن عام 1351 هـ، والمجلة تصدر حتى يومنا هذا أسس الجماعة الإسلامية في الهند عام 1360 هـ وقادها ثلاثين عاما ، ثم اعتزل الإمارة لأسباب صحية عام 1392 هـ وتفرغ للكتابة والتأليف، اعتقل في باكستان ثلاث مرات، وحكم عليه بالإعدام عام 1337 هجرياً ثم خفف حكم الإعدام =إلى السجن مدى الحياة نتيجة لردود الفعل الغاضبة والاستنكار الذي واجهته الحكومة آنذاك، ثم اضطروا بعد ذلك إلى إطلاق سراحه، كما تعرض المودودي لأكثر من محاولة اغتيال،وهو صاحب فكرة ومشروع إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وبعد إنشائها صار عضوا في مجلس الجامعة، وكان عضوا مؤسساً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وله من المؤلفات الكثير، عدها بعضهم فتجاوزت الستين كتابا، توفي في 31 ذو القعدة من عام 1399 هـ ودفن في ساحة منزله بمدينة لاهور الباكستانية . انظر: ويكيبديا ،http://ar.wikipedia.org/wiki/

عن سيد قطب(120) وفكره ، ثم تحدثت عن الشاه بهلوي(121) وثورته الحداثية، ثم ظهور الخميني وانجذاب الشباب ثم تحدثت عن تلك الحقبة التاريخية في إيران ،كما تحدثت عن مقاومة الأصولية في الولايات المتحدة ومقاومتها لعدوها ذي " النزعة العلمانية "وعرفوهم بأنهم ينكرون الرب والروح والكتاب المقدس، ويؤمنون بالحرية الجنسية ، افعل ما يحلو لك طالما لا تضر الآخر والمثلية والسحاق وجواز الإجهاض وغيرها من الأمور(122).

وفي الفصل التاسع : الهجوم ، تقول :" لقد أخذ الهجوم الأصولي العديد من العلمانيين على حين غرة؛ لأنهم حسبوا أن الدين لن يكون لاعبا أساسيا في السياسة"، ثم تحدثت عن سقوط الشاه في إيران وقيام الدولة الدينية فيها ،وعدم قبول الشباب المسلم لمصالحة مصر

---

(120)سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي كاتب وأديب ومنظر إسلامي مصري، وعضو سابق في مكتب إرشاد جماعة الإخوان المسلمين، ورئيس سابق لقسم نشر الدعوة في الجماعة، ورئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمين، ولد في قرية موشا، وهي إحدى قرى محافظة أسيوط، بها تلقى تعليمه الأولي وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بمدرسة المعلمين الأولية عبد العزيز بالقاهرة ونال شهادتها والتحق بدار العلوم، مر سيد قطب بمراحل عديدة في حياته من حيث الطفولة ثم أدب بحت في مدرسة العقاد، ثم ضياع فكري، ثم توجه للأدب الإسلامي إلى أن صار رائد الفكر الحركي الإسلامي، وهذه المرحلة هي التي يعرف الناس اليوم بها سيد. يعتبر سيد قطب من أكثر الشخصيات تأثيرًا في الحركات الإسلامية التي وجدت في بداية الخمسينيات من القرن الماضي، له العديد من المؤلفات والكتابات حول الحضارة الإسلامية، والفكر الإسلامي، اعتبر سيد قطب من أوائل منظري فكر السلفية الجهادية، وذلك منذ ستينيات القرن العشرين، استناداً إلى بعض توجهات الإخوان المسلمين ونشأة التنظيم الخاص للجماعة في يوم 30 يوليو1965 ألقت الشرطة المصرية القبض على شقيق سيد محمد قطب وقام سيد بإرسال رسالة احتجاج للمباحث العامة في تاريخ 9 أغسطس 1965م، أدت تلك الرسالة إلى إلقاء القبض على سيد كثير من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، وحُكم عليه بالإعدام مع 6 آخرين، وتم تنفيذ الحكم في فجر الإثنين 13 جمادى الآخرة 1386 هـ الموافق 29 أغسطس 1966م، انظر: ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki/

(121)محمد رضا بهلوي وُلد الشاه في مدينة طهران الإيرانية، وكان آخر شاه يحكم إيران قبل الثورة الإسلامية عام 1979، واستمر حكمه من 1941 إلى 1979، تلقى تعليمه في المدرسة الداخلية السويسرية" لا روسي"، ثم أكمل تعليمه في إيران في الكلية الحربية، عانت إيران من اضطرابات سياسية بعد الحرب العالمية الثانية، أدت برئيس الوزراء الإيراني محمد مصدّق إلى إرغام الشاه محمد رضا بهلوي على مغادرة إيران، حيث احتدم الصراع بين الشاه ومصدق بداية شهر =أغسطس 1953، فتدهور الوضع السياسي تدهورا لم يعرف من قبل، فالتجأ الشاه إلى بغداد يوم 16 آب/أغسطس 1953 بصحبته زوجته الملكة ثريا ومرافقه الخاص بطائرته الخاصة، واستقبل بحفاوة بالرغم من استنكار حكومة مصدق، وبعد أداء مراسيم الزيارة في الكاظمية وكربلاء والنجف غادر متوجها إلى إيطاليا، وقبل أن يغادر وقع قرارين: الأول يعزل مصدق، والثاني يعين الجنرال فضل الله زاهدي محله. لكنه عاد إلى إيران بانقلاب مضاد لانقلاب رئيس الوزراء بمساعدة المخابرات الأمريكية والبريطانية ،وأقال مصدّق من منصبه واستعاد عرش إيران. كان ذلك عام 1953. في 16 يناير1979، أُرغم الشاه على مغادرة إيران للمرة الثانية، ولكن هذه المرة بغير رجعة، إثر اضطرابات شعبية هائلة، إثر سياسة منع الحجاب وتغيير التعاليم ومظاهرات عارمة في العاصمة طهران ضد الاضطهاد والظلم. وبمغادرة الشاه للعاصمة طهران، تسلم الخميني الحكم بعد عودته من منفاه في فرنسا فيما وفد الشاه محمد رضا إلى مصر لدى الرئيس أنور السادات الذي استضافه حتى مماته في 27 يوليو 1980. انظر: ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org/

(122)انظر: النزعات الأصولية ، مرجع سابق ،ص255- 299.

مع إسرائيل،وهجوم الشباب المسلم عليه، وكان المراقبون الأوربيون يشعرون " بالإحباط من عودة النساء المحجبات "كطريقة للتخلص من هوية غريبة عليهن "[(123)].

ملاحظة : تحليل الكاتبة عن الحجاب لا يمت للنظرة الإسلامية بشيء، وإنما هو تفسير من وجهة نظرها ، وقد بينت ذلك في الكتاب الأول .

وفي الولايات المتحدة أسس جيري فالويل الأغلبية الأخلاقية عام 1979م .. [(124)]
وفي إسرائيل تكونت حركة " غوش أمونيوم " أي " جماهير المؤمنين من مجموعة من الأحبار والشبان العلمانيين و أنهم تمكنوا من إقامة المستوطنات، كما قامت حركات أخرى غيرها لا تريد السلام ولا التنازل عن الأراضي.
ثم تحدثت عن نهضة الأصولية في الولايات المتحدة ،ومما يدل على قوتهم حين تباكي الرئيس كلينتون أمام الجماهير واعترافه بخطيئته وبرفقته رؤساء دينيين، ذلك يدل " على انه لم يعد بإمكان السياسيين التعامل مع الآراء المحافظة باحتقار علماني "[(125)]..
الفصل العاشر : الهزيمة ، تحدثت عن قوة الدين وأنه قوة ليست مهدورة ، كان انتصار الدين في إيران ؛ لأن الناس تريد ذلك، حتى من كان علمانيا فهو يريد ديموقراطية مع حكم ديني مخفض، كما ذكرت أن الأصولية دين محارب في عالم معاد، وهذا يشوه نظرتها .
تقول **أخيراً:** "النزعة الأصولية هي إحدى أبرز التجارب الدينية، وقد أحرزت بعض النجاح في إعادة الدين على جدول الأعمال الدولي ، ثم تقول : "لقد أهمل الجميع التعاليم الأكثر تسامحا وشمولية ورحمة وتبنوا لاهوتيات سعار وكراهية وانتقام، أدى هذا لأن تقوم أقلية صغيرة بتحوير الدين وتستخدمه لتبيح القتل، حتى أن الأغلبية الكاسحة من الأصوليين تبدي ميلا لأن تكون إقصائية وميالة لإدانة من لا يشاطرونهم آراءهم "[(126)]وترى عدم قمع هذه الأصولية بالقوة؛ فذلك يزيد في تطرفهم ، وترى أن هذه الحركات ليست ارتداداً للماضي، بل هي حركات حديثة وتجديدية وأنها عدوانية ومشوهة تفتقر إلى الرحمة، وأن

(123)المرجع السابق ، ص 317 .
(124)انظر: النزعات الأصولية ، مرجع سابق ، ص300.
(125)انظر: المرجع السابق ، ص 336.
(126)انظر: المرجع السابق ص 388.

عليهم أن يطوروا تقييما لأعدائهم أكثر رحمة لكي يكونوا صادقين أكثر مع قيم التسامح واليسر واحترام البشرية(127) .

الخلاصة :

هذا الكتاب الذي سعت فيه آرمسترونغ إلى تتبع حركة نشوء الحركات الأصولية في كل من الأصولية البروتستانتيه الأمريكية ، والأصولية اليهودية في إسرائيل ، والأصولية الإسلامية في مصر ، والأصولية في إيران ، والذي قد حوى معلومات تاريخية كبيرة وقيمة، تتسم بالمصداقية بشكل كبير برز فيه شخصية الكاتبة ، وفهمها لموضوع كتابها وثقافتها الواسعة في هذا المجال.

مما جعلها محط أنظار الكتاب والباحثين.

وفي المبحث التالي سيتم توضيح موقف الكتاب منها، وأبرز المقالات التي تحدثت عنها .

(127)انظر: المرجع السابق .ص 394.

لمبحث الثالث : أبرز المقالات التي كتبت عنها

التمهيد :

لقد كانت كارين آرمسترونغ محل أنظار الكُتاب والباحثين ، لما قامت به من جهود في دفاعها عن الإسلام ، وعن نبيه محمد ρ ، فقد تناول الباحثون كتبها بعين الاعتبار، وقاموا بترجمتها إلى اللغة العربية وعرضها للقارئ العربي ، وكُتبت عنها بعض المقالات التي من خلالها يتم عرض شخصيتها والتحدث عن كتبها ، ومن أبرز هذه المقالات :

1- المطلب الأول : مقالة بعنوان :"كارن آرمسترونغ: هل هي الأقرب إلى الاعتدال؟!"(128)

حيث وضح فيها الكاتب أن المستشرقين ليسوا على درجة واحدة من حيث موقفهم من الإسلام ونبيه محمد ﷺ ، وأن منهم من ينظر إلى الإسلام بنظرة موضوعية بعيدة عن التعصب والتطرف، ومن بين هؤلاء الكاتبة آرمسترونغ فيقول: **"**يجب أن نأخذ في الاعتبار أن المستشرقين ليسوا على درجة واحدة، لا كمًّا ولا كيفًا، من حيث مواقفهم من الإسلام، والقرآن، ورسول الله ρ وأمته، وتعد المستشرقة كارن آرمسترونغ واحدة من أبعد هؤلاء عن التطرف والافتعال، إذ تركت الرهبنة، وتخصصت في علم الدين المقارن، وهي عضو في الحلقة الدراسية عن عيسى عليه السلام، ومن أقوالها" :كل التقاليد العظيمة تقول_ تقريبًا_ الشيء نفسه بالرغم من الاختلافات السطحية"، وجدير بالذكر أنها ردت على البابا بنيديكت بقوة وانفعال قائلة: نحن لا نستطيع تحمل إبقاء هذا الإجحاف القديم ضد الإسلام!"

ثم بعد ذلك تكلم الكاتب عن سيرتها الذاتية، وتطرق لذكر أهم مقالاتها ومحاضراتها وكتبها ، ثم تكلم عن موقف كارين آرمسترونغ من أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، ومن ذلك قولها :" إن أحداث 11 سبتمبر قسمت الأكاديميين الأمريكيين إلى معسكرين، المعسكر الأول تحت قيادة مارتن كرامر -رئيس دراسات الشرق الأوسط- الذي اتهمني، واتهم أكاديميين مثل جون إسبيسيتو -رئيس الحوار الإسلامي المسيحي في جامعة جورج تاون-

(128)انظر: موقع شبكة الألوكة :كارن آرمسترونغ هل هي الأقرب إلى الاعتدال ،عبدالرحمن أبوالمجد ، تاريخ 1431/6/19هـ ، http://www.alukah.net/sharia/0/22282/

بأننا نخدع الناس حول الاعتقاد بأن الإسلام ما كان تهديدًا، وحجة كرامر التي ادعاها ثبت خطؤها، فقط بعد بضعة أسابيع من 11 سبتمبر، إذ كتب كرامر مقالة من أبراج عاجية بنيت على الرمل، ألقى باللوم فيها مباشرة على الأكاديميين للإخفاق في توقُّع الأعمال الوحشية، وإسكات الأصوات المعتدلة، توضح آرمسترونغ كثرة أجهزة الإعلام في الولايات المتّحدة التي حاولت إسكات الأصوات المعارضة بعد 11 سبتمبر، وعلى سبيل المثال كانت قد كُلّفت من قبل مجلة النيويوركر لكتابة مقالة عن الإسلام، لكن المجلة نشرت بحثًا للأكاديمي بيرنارد لويس بدلاً من أن تنشر مقالتي".

ثم تتابع آرمسترونغ حديثها قائلة :" لو علم السيد المسيح بممارسات الكنيسة اليوم لارتاع، أنا أحب أن أبين له الكثير حول الفاتيكان، حيث المسيحيون لا يستطيعون الاشتراك في كنيسة واحدة، السيد المسيح سيروع من هذا، وعلى شدة محمد ﷺ، فإنه سيروع إذا عرف أن الحادي عشر من سبتمبر عُمل باسم الإسلام.

وهنا علق الكاتب على كلامها قائلاً :" لا بد من تعليق هاهنا؛ إذ يشهد القرآن بما تتألم منه آرمسترونغ، من أشياء في المسيحية ليست من المسيحية، بجانب تنوع الكنائس وما أحدثته من تمزق، وأيضًا نعترض على قولها" على شدة محمد"، وهي التي تزعم أنها تتحلى بالموضوعية !أين هذه الشدة؟ بل لم ترزق الأرض بفاتحين أرحم من محمدρ وأتباعه، وأما أحداث الحادي عشر من سبتمبر فليست من الإسلام.

ويمكن القول إضافة إلى ما ذكره الكاتب بهذا الشأن_ أن كلام آرمسترونغ ليس دليلاً على عدم إنصافها ، ولكن السبب في كلامها هذا يعود إلى أنه لوحظ عليها أن لديها اضطراباً في المنهج التي تسير عليه، والدليل على ذلك أنها تصف في كتابها وتستشهد على رأفته ρحتى بالحيوان، فتقول :" لقد تولد لدينا ميل عبر القرون إلى اعتبار محمد ρ شخصية صارمة ، محارباً شرساً ، وسياسياً صلباً ،لكنه حقيقة كان رجلاً ذا مشاعر تفيض بالرقة والطيبة ، لقد أحب الحيوانات فلم يكن ليزعج قطة إذا رآها نائمة على عباءته ، وكان محمد ρ يسعى أن يعلم المسلمين ذلك ، كان العرب في أثناء الجاهلية يعاملون الحيوانات بقساوة كبيرة ،كانوا يقطعون منها قطعة لحم وهي حيَّة كي يأكلوا ، وكانوا يضعون حلقات مؤلمة حول أعناق الإبل ، ولكن محمد ρ منع أية معاملة مؤلمة أو قتلاً منظماً للحيوانات ،يروي في أحد الأحاديث عن النبي ρ أن رجلاً قدم ماء إلى كلب في يوم قائظ، فذهب الرجل إلى الجنة من عمله هذا ، وعن امرأة جوعت قطتها حتى الموت فأرسلت إلى النار ، إن حفظ هذه

الأحاديث يظهر لنا مقدار أهمية القيم في العالم الإسلامي ، والسرعة التي قدمت بها الجماعة نحو رؤية أكثر إنسانية ورحمة "(129).

من خلال ما سبق يتضح إعجاب آرمسترونغ الشديد بالقيم الإسلامية ، ومن ذلك اتصاف نبيه بالرأفة و الرحمة حتى مع الحيوانات .

أما ما يخص قولها بأن أحداث سبتمبر قامت باسم الإسلام فقد ذكرت في موضع آخر حينما تحدثت عن أسباب عداء الغرب للإسلام أن قيام بعض من ينتسبون إلى الإسلام والذين يقومون بأعمال إرهابية هي من أسباب عداء الغرب للإسلام مع أن الإسلام بريء من أفعال هؤلاء ، فتقول آرمسترونغ :" من الخطأ أن نرى المتطرفين المسلمين يُمثلون الصور النموذجية لدينهم ، ويتساوى في الخطأ عدُّ آية الله الخميني وحده المجسد للإسلام "(130).

وذكرت في موضع آخر "معظم الغربيين لا يعرفون ما يكفي عن التراث الإسلامي كي يقدروا أهمية هذا الضغط الجديد، ويضعوه ضمن منظور صحيح ، عندما يأخذ بعض الإسلاميين رهائن باسم الإسلام يشعر الناس في أوروبا وأمريكا بنفور من هذا الدين، دون أن يعرفوا أن هذا السلوك مناف لتشريع هام في القرآن"(131).

وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه المجتمع الغربي حينما يتهم الإسلام ويصفه بأنه دين الإرهاب بسبب أعمال وأفعال أناس لا يحملون من الإسلام إلا الاسم فقط .

ثم انتقل الكاتب في الحديث عن مشروع الرحمة، فقال :" إن دراسات المستشرقين كثيرًا ما تكون موجهة لخدمة أهداف مطلوبة، ترصد لها الملايين لتحقيق هذه البحوث، وهذا ما يجعل هذه الدراسات غير مبرأة من الغرض، كدراسات روبرت سبنسر على سبيل المثال الذي يعمل مستشارًا خاصًّا حول الإسلام لبعض الأفراد والمجموعات، وقد طلب منه كتابة كتابه الأول: الإسلام المكشوف، لكي يصحح للبعض إساءةَ الفهم حول الإسلام التي كانت واسعة الانتشار في ذلك الوقت" يقصد بـ(يصحح) يشوه الفهم حول الإسلام."

ثم تابع حديثه قائلاً :" في فبراير 2008 تقدمت آرمسترونغ لمنظمة تيد بمشروع دستور ، باسم مجلس قادة المسيحيين والمسلمين واليهود لرسم دستور للرحمة، فازت آرمسترونغ

(129)الإسلام في مرآه الغرب ، مرجع سابق ، ص271.
(130)المرجع السابق ، ص15.
(131)الإسلام في مرآه الغرب ، مرجع سابق ، ص15.

بمنحة قدرها100000$ وهي منظمة خيرية تمنح منحها لكل مفكر يريد تغيير العالم إلى الأفضل- وذلك لوضع دستور الرحمة، وهو عبارة عن أولويات أخلاقية مشتركة في الأديان السماوية تحد من الصدام ، وتنشد المحبة والسلام، تتبنى فهماً عاليا لروح هذه القاعدة الذهبية.

في مايو 2008 منحت جائزة حرية العبادة بمعهد روزفيلت، وصرح المعهد بأن آرمسترونغ صارت صوتًا مهمًّا، يطالب بفهم متبادل في أوقات كثر فيها الهرج والمجابهة والعنف بين المجموعات الدينية، واستشهد بأن تركيزها الشخصي المثالي نحو السلام يمكن أن يوجد في الفهم الديني.

في نوفمبر 2009 كشفت عن دستور الشفقة في واشنطن، وكان من ضمن الموقعين عليه الأمير الحسن بن طلال، ورئيس أساقفة ديزموند، والسير ريتشارد برانسن، وتضمن شخصيات دينية غير الديانات السماوية.

وبالطبع قامت حملة ضارية ضد آرمسترونغ ومشروع الشفقة، وعلى طريقة شاكير مامي كتبت مقالاً نارياً بعنوان" كارن أم المجانين " اتهمتها بأنها مجنونة ، ونقدت القرآن ضمن السياق مدعية أن القرآن لا يعرف هذه القاعدة الذهبية ، وأنه لا توجد أية آية تؤكد الشفقة والرحمة والتراحم، واستشهدت بقوله تعالى :(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ)(132).

ثم رد الكاتب على ذلك قائلاً :" وتجاهلت كثيرًا من الآيات التي تحث على الشفقة والرحمة،قال الله تعالى : [لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] (133)
ويمكن القول إضافة إلى ما سبق إن الدين الإسلامي هو دين الرحمة والرأفة ، ومن رحمته بالمنتمين إليه أن جعل تطهير بعض الذنوب بالدينا قبل الآخرة، ومن ذلك فعل فاحشة الزنا الذي استشهدت بها شاكير، فالزناة لهم عذاب خاص بهم بالآخرة، وما تنفيذ حكم الشرع بهم إلا دليل على توبتهم من هذا الفعل الشنيع الفتاك الذي يهدم المجتمعات ، كما إن إقامة حكم الزنا لا يتم إلا إذا ارتفع الحكم إلى القاضي واعترف به المذنب بأنه فعل تلك الفاحشة، كما

(132)سورة النور الآية (2).
(133)سورة الممتحنة الآية (8).

أن حكم الزاني المحصن يختلف عن حكم الزاني غير المحصن ، والحكمة _ كذلك _ في تنفيذ هذا الحكم الشرعي هي القضاء على هذه الآفة الخطيرة التي تؤدي إلى فساد المجتمعات ، وردع كل من تسول له نفسه ارتكابها، وغيرها من الأحكام الشرعية ،كما ينبغي التنبيه على أنه لم يذكر أن نفذ حكم الزنا بأحد المسلمين ، لأن هذا الأمر لابد فيه من التثبت، وجود الشهود الذي شهدوا هذه الفعل إلا أن التاريخ الإسلامي قد سجل قصة الرجل والمرأة اللذين اعترفا بارتكابهما تلك الفاحشة، وأرادا أن يتطهرا .

فعن سليمان بن بريدة عن أبيه ، قال:" جاء ماعز بن مالك(134)إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله طهرني، فقال " ويحك، ارجع فاستغفر الله وتب إليه " قال : فرجع غير بعيد، ثم جاء، فقال : يا رسول الله طهرني، فقال رسول الله ﷺ" ويحك، ارجع فاستغفر الله وتب إليه " قال : فرجع غير بعيد ، ثم جاء ، فقال : يا رسول الله طهرني، فقال النبي ﷺ : مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة ، قال له رسول الله : مم أطهرك ؟ فقال : من الزنى ، فسأل رسول الله ﷺ : أبه جنون ؟ فأخبر أنه ليس بمجنون، فقال : أشرب خمرا؟ فقام رجل فاستنكهه ، فلم يجد منه ريح خمر ، قال ، فقال رسول الله ﷺ : أزينت ؟ فقال: نعم، فأمر به فرجم ، فكان الناس فيه فرقتين: قائل يقول : لقد هلك ، لقد أحاطت به خطيئة ، وقائل يقول : ما توبة أفضل من توبة ماعز ، إنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده، ثم قال : اقتلني بالحجارة ، قال : فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ، ثم جاء رسول الله _ ﷺ _ وهم جلوس ، فسلم ثم جلس، فقال : استغفروا لماعز بن مالك ، قال : فقالوا: غفر الله لماعز ابن مالك؟ قال ، فقال رسول الله ﷺ :" لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو سعتهم "(135). ومثله قصة المرأة الغامدية .

هكذا كان الرسول _ ﷺ _ يتثبت قبل أن يصدر أي حكم شرعي ، وهذا كان جلياً من خلال هذه القصة .

ثم تطرق الكاتب إلى عرض كتاب آرمسترونغ تحت عنوان " جولة في كتاب محمد ﷺ : أي نبي لعصرنا" .

(134)ماعز بن مالك الأسلمي ، أسلم وصحب النبي ﷺ ،وكتب له رسول الله ρ كتاباً بإسلام قومه، روى عنه ابنه عبدالله بن ماعز حديثاً واحداً، وهو الذي أصاب الذنب، ثم ندم فأتي رسول الله ρ فاعترف عنده ، وكان محصنا ،فأمر به رسول الله فرجم .انظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد ،ج4ص241، وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ،مرجع سابق ، ج3ص1345.

(135)رواه مسلم : باب من اعترف على نفسه بالزنى ، ج3ص1321، حديث رقم (1695).

و في تعريفه لهذا الكتاب قال :" إنه كتاب من أهم الكتب الحديثة ، كتاب لم يكتب مثله في عصره ، لقد نجح الكتاب في إحداث صدى إيجابي واسع بين مثقفي الغرب عامة ، لتكتمل الرؤية حول مكانتها وعملها ، هذا الكتاب المهم الذي نشر في وقت مهم ، نحن أحوج ما نكون ليس فقط إلى مطالعته ، ولكن_ أيضاً_ لمعرفة الصدى الذي أحدثه هذا الكتاب الذي نجح في توضيح بضعة جوانب من عظمته_ ﷺ_ الإنسانية لمن يحاولون أن يجردوه من إنسانيته ".

ثم ذكر أهم التعليقات التي أحدثها هذا الكتاب لدى المجتمع الغربي، ومن أبرزها :

1- تعليق إد لويس ، وهو علماني لا يؤمن بالدين ، فيقول :"التقطت هذا الكتاب، بالرغم من أنني ملحد ظللت بدون تعاطف؛ ما سبق أن كان عندي أي تعاطف لأي دين، بالرغم من أنني أحترم حقوق الآخرين في اعتقاداتهم، فقد كنت أبحث عن المعلومات؛ لأنني قلق من انتشار دعاية الحقد ضد المسلمين في أجهزة الإعلام، وإذا أخبروني بأنني يجب أن أكره شيئاً فأنني أريد أن أعرف لماذا ".

2- تعليق غوغول ، حيث يقول وهو يعلق على هذا الكتاب :"هذه السيرة تجعلنا ننبهر بحياة محمد "ﷺ" وأصول الإسلام، إذ تسمح المؤلفة لنا أن نتصور الحياة والمجتمع في بلاد العرب أثناء عصر النبي "ﷺ "والإنجازات الكبيرة التي استطاع أن يطورها في مدة قصيرة جداً، قصة زعيم رائع، ديني وسياسي.

وأهم إضافة لآرمسترونغ خلال هذه السيرة في رأيي أنها تبرز محمداً"ﷺ " في صورة إنسانية جدًّا، مجردة من كل إغراء أسطوري، وغير ملوثة بالإجحاف التاريخي، فهي قراءة مفيدة جدًّا في أوقاتنا الحالية؛ لأنها تعطي الفرصة لفهم أفضل للإسلام".

هكذا عرض الكاتب لبعض الآراء حول كتاب آرمسترونغ ووصفهم إياه بنظرتها العادلة نحو الإسلام ورسوله ﷺ .

المطلب الثاني : مقالة بعنوان: (التعريف بكتاب محمد ﷺ نبي لزمننا، لكارين آرمسترونغ) (136)

.

استفتح الكاتب مقالته مبينا موقف الغربيين من الإسلام ،ومن نبيه محمد ﷺ ،قائلاً :" في الثقافة الغربية تاريخ طويل من الرعب من الإسلام (الإسلاموفوبيا) يرجع لأيام الصليبيين،

(136)التعريف بكتاب محمد نبي لزمننا لكارين آرمسترونغ : أحمد بوعود ، تاريخ 16/ 1434/4ه ، http://vb.tafsir.net/tafsir35233/#.VSElXfmsWjE

فقد انتشر في الأوساط المسيحية لأوربا في القرن الثاني عشر، بفعل الرهبان أن محمداً ρكان دجالا، فرض دينه على الناس الرافضين بقوة السلاح، وكانوا يسمونه بأبشع الأسماء ،وينعتونه بأقبح الصفات وأحطها، ومنذ أحداث 11 سبتمبر 2001 والهجوم متواصل عبر أطراف متعددة اعتبرت النبي محمدρ إرهابيا ومدمن حرب، حتى أصبحت هذه الصورة المشوهة صورا نمطية مقبولة لدى الغرب " .

استمر الكاتب في تحليل القضايا التي تناولتها آرمسترونغ في كتابها من خلال تتبع سيرته ρ (الدعوة المكية، والجاهلية، والهجرة، والجهاد، والسلام) مبيناً الموقف الإيجابي الذي كان تكنه لدين الإسلام ولرسوله ρ فقد أوضحت أن الرسول ρ لم يكن قط رجل عنف، بل إنه نموذج لهداية العالم في زماننا، وتقترح للوصول إلى هذه النتيجة أن نقارب حياته بطريقة معتدلة حتى نستطيع تقدير إنجازاته المعتبرة، تلك الحياة التي كانت حملة لا تكل ضد الطمع والظلم والتكبر، كان اهتمامه الأكبر تغيير قلوب الناس وعقولهم، ولم يحاول فرض معتقد ديني ".

ثم تابع الكاتب حديثة مبينا أهمية هذا قائلاً :" تنبع أهمية الحديث عن هذا الكتاب من أهمية كتابات كارين آرمسترونغ التي تعرف رواجا لافتا بالغرب (وبخاصة بريطانيا وأمريكا)، كما أن موقفها من النبي صلى الله عليه وسلم ،ومن دين الإسلام يكاد يكون متميزا في زمن عُرف بالنيل من شخصية الرسول الكريم ومن شريعة الإسلام، والكاتبة آرمسترونغ أخذت على عاتقها تصحيح صورة الإسلام وتقديم الصورة الحقيقية لنبينا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم للغربيين، وما أحوجنا نحن_ المسلمين لمعرفة مثل هذه النماذج والتعرف عليها بهدف التواصل والتعاون، والغاية بعد ذلك طبعا هي عرض معاني الرحمة النبوية للعالمين ".

وهذا_ فعلاً_ ما قد لوحظ على كتابات آرمسترونغ، فهي تسعى لإزالة الصورة المشوهة عن الإسلام ورسوله ρ، والتي علقت في أذهان الغرب .

واستمر الكاتب في ذكر أهم الكتب التي تحدثت فيها آرمسترونغ عن الإسلام مبينا أسباب تأليفها .

وجدير بالذكر أن الباحثة المتخصصة في مقارنة الأديان كتبت كتابين عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

1- الأول: (Muhammad a Biography of the Prophetسنة 1991)، وكان قد صدر للمرة الأولى ببريطانيا 1991 بعنوان: Muhammad a Western Attempt to Understand Islamترجمه إلى العربية كل من فاطمة ونصر ومحمد عناني بعنوان: "محمد سيرة النبيρ ، ومحمد الجورا بعنوان: "الإسلام في مرآة الغرب.. محاولة جديدة في فهم الإسلام.

وقصة تأليف هذا الكتاب ترجع إلى قضية سلمان رشدي وكتابه "آيات شيطانية" الذي اعتبره المسلمون إساءة إلى رسول اللهρ وآل بيته، وما أثار كارين آرمسترونج هو تلك الفتوي التي أصدرها الإمام الخميني والتي قضت بإباحة دم سلمان رشدي وناشر كتابه، كما لم تعجبها الطريقة التي تعامل بها الناس مع قضية سلمان رشدي في إنجلترا.

2- الثاني :(Muhammad Prophet for Our Time سنة 2006، وقد ترجمته إلى العربية فاتن الزلباني بعنوان: "محمد ρ نبي لزمننا "

وتوضح كارين أن هذا الكتاب الذي جاء بعد مرور خمس عشرة سنة على الكتاب الأول جديد ومختلف كلية؛ ذلك أن كتابها الأول لم يعد يفي بالغرض بعد هجمات 11 سبتمبر، حيث دعت الحاجة في نظرها إلى التركيز على جوانب أخرى من حياة محمدρ ، لأن هذه الأحداث زادت من العداء للإسلام ونبيه ρ.

ثم تابع الكاتب حديثه في ذكر بعض التعليقات والملاحظات على الكتاب قائلاً :" ويعتبر مفهوم النبوة من المفاهيم المستعصية على الفهم عند كارين أرمسترونج، وعند الغربيين عموما. وقد سبقت الإشارة في البحث إلى هذه النقطة عند اعتبارها النبي (ρ) شخصا له "موهبة استثنائية"، واعتقاده (ρ) بوجوب إصلاح اجتماعي"، ونزوله لرأي الشباب الكارثي الذين تحمسوا للخروج لملاقاة قريش في غزوة أحد، كما أشارت إلى أن النبي (ρ) كان يعرق بشدة عندما يفكر لمواجهته قضايا صعبة وحرجة، نعم، كان النبي (ρ) يعرق، ولكن عند نزول الوحي عليه، وليس عند التفكير، إن مثل هذه الاعتبارات تجعل من النبي (ρ) رجلا معزولا عن السماء، يعتمد في حركته على جهده العقلي والفكري البشري، وهذا الفهم يسلب النبوة ".

أنا أوافق الكاتب في حديثه أن الكاتبة آرمسترونغ قد يستعصي عليها معرفة مفهوم النبوة إذ قد يحصل لديها خلط أحياناً عند حديثها عن النبي ﷺ ، ويعود السبب في ذلك أنها ترى النبيρ مصلحاً اجتماعياً ،لذلك تنسب إليه بعض الأمور ،ولا تعده وحيا من السماء ، إذ

إنها لو اعتبرت أن الرسول ρ نبي مرسل من عند الله، وأن ما جاء به وحي من الله لأشهرت إسلامها .

المطلب الثالث : مقالة بعنوان: "الإسلام في مرآة الغرب محاوله جديدة في فهم الإسلام"(137)

هذه المقالة تحدثت فيها الكاتبة عن كتاب آرمسترونغ " الإسلام في مرآة الغرب " محاولة منها لإبراز النظرة الموضوعية التي اتصفت بها الكاتبة مبتدئة كلامها بقولها :" الكتاب عبارة عن محاولة موضوعية غربية لفهم سيرة النبي (ρ)".

ثم تابعت حديثها بذكر المواضيع التي تطرقت إليها آرمسترونغ في كتابها "تبتدئ المؤلفة كتابها بفصل سمّته محمد (عدو الغرب) تتحدث فيه عن تاريخ صورة سيدنا محمد في المراجع المسيحية و كيف أن التعصب و التشويه قد لازمته منذ ظهوره إلى يومنا هذا، ثم بعد ذلك تنتقل في الفصول الأخرى إلى سرد سيرته من ولادته إلى وفاته بطريقة مختلفة غير نمطية بالنسبة للغربيين،الكتاب ذو (328) صفحة قد استغرقني شهرا لقراءته!!! نعم شهراً كامل، إذ إنه يفتح أبواب الأسئلة و التأمل على مصراعيها، فالفصل الأول يعتبر صادماً جداً _و خصوصا لمن لم يقرأ عن هذا الموضوع من قبل_ إذ سيرتاع من صورة النبي (ρ) و المسلمين المشوهة و البذاءة في الكلام، لدرجة لم تكن تخطر له على بال، إلى حد أن المترجم ذاته لم يترجم بعض الاقتباسات من الكوميديا الإلهية لدانتي، مكتفيا بأن مراد المؤلفة قد وصل دون داع لتكرار تلك العبارات المشينة،توقفت عند هذا الفصل مطولاً، و سؤال يلح في مخيلتي: أين كان المسلمون طوال الوقت من كل هذا التراث الهائل من الحقد و التشوه و الكراهية؟ و مع تذكري لقضية الرسومات المشينة و ردود أفعال المسلمين عليها في أنحاء العالم بالمقاطعة و الغضب، لم أتمالك إلا من التألم على جهلنا و قول يا إلهي كم المسلمون غافلون! فبعد قراءة هذا الفصل يتبين للمرء أن هذه الرسومات المشينة ما هي إلا ورقة صغيرة لشجرة كبيرة ضاربة جذورها في عمق التراث الغربي و تاريخه و كم وراء كل خط من هذا الرسومات من تراكم تاريخي قديم و راسخ... أما الفصول الأخرى فهي عبارة عن ذكر وقائع السيرة النبوية و محاولة تقريبها وشرحها للقارئ الغربي"

(137)الإسلام في مرآة الغرب: سلمى الهلالي، http://www.helali.net/salma/ar/books/islam.htm

وفعلاً إن ما يندى له الجبين تلك الحملة الشرسة التي يترأسها الغرب ضد الإسلام ونبيها (ρ)، والمسلون في موقف المتفرج لها ، ولو أن المسلمين وقفوا كرجل واحد في صد تلك الهجمات لكان الغرب قد ألجم لسانه وانتهى ، ولو وقف المسلون شعوباً وحكاماً ودولاً مقاطعين تلك الدول التي تسيء إلى سيد البشر لتوقف هؤلاء عن الإساءة مخافة أن تتعطل مصالحهم ، ولكن المسلمين رضوا بالحياة الدنيا من الآخرة.

قال الله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا الله يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ](138)، والدفاع عن النبي (ρ) من نصرة الله عز وجل؛ إذ الإيمان بالله مرتبط بالإيمان بنبيه محمد (ρ).

يقول الطبري رحمه الله بعد تفسير هذه الآية :" يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، إن تنصروا الله ينصركم بنصركم رسوله محمدا (ρ) على أعدائه من أهل الكفر به، وجهادكم إياهم معه؛ لتكون كلمته العُليا ينصركم عليهم ، ويظفركم بهم؛ فإنه ناصر دينه و أولياءه "(139).

وقد نقلت الكاتبة تجربة صديقتها عندما قرأت الكتاب ، و كان تحليل الكاتبة ومحاولة فهم النظرة التي يمكن أن تؤخذ من هذا الكتاب جداً رائعة، فتقول :" قررت صديقتي وفاء _التي استعرت منها الكتاب كالعادة، و التي كانت قد استعارته بدورها من أحد أساتذتها_ القيام بتجربة جديدة، و هي أن تحاول قدر المستطاع قراءته بتجرد بحت، بعيداً عن كونها مسلمة، و كأنها قارئ غربي لترى ما الانطباع الذي سيتولد لدى الغربي العادي عند قراءته هذا الكتاب عن سيرة رسول الله(ρ) ،لكنها لم تلبث أن أنهته و الضيق قد استبد بها بسببه، ثم أعطتني إياه و قالت: لم أفهم هل هذا الكتاب معنا أو ضدنا، لو أني كنت غربياً لما أعجبتني هذه الشخصية التي تبدو ضعيفة و عاطفية و مسيطراً عليها من قبل زوجاتها، لا يبدو هذا الشخص و كأنه نبي عظيم، لا أعرف صراحة عمن تتحدث، فهذا ليس هو النبي الذي أعرفه و أتبعه حاولي أن تقرأيه بتجرد و أخبريني برأيك،لكن تعلمون يا سادة أني لست غربية، فأنى لي أن أعرف كيف يفكر الغربي لأحاول الرؤية بعينيه؟ لذلك عمدت قبل الابتداء بالكتاب إلى قراءة آراء القراء حول الكتاب _النسخة الانكليزية_ من موقع أمازون لأرى كيف قد رآه القارئ الغربي العادي من غير النقاد و المختصين؟ كانت غالبية الآراء

(138)سورة محمد الآية (7).

(139)جامع البيان في تأويل القرآن : الطبري ، المحقق: أحمد محمد شاكر ، ط1، (الرسالة : 1420هـ) ج22ص160.

بشكل عام بين معجبين و محبين للكتاب و لشخصية النبي (ρ) فيه و شاكرين للمؤلفة و موضوعيتها،و بين مستائين شاتمين للمؤلفة ناعتين إياها بالعمالة و التنكر لهويتها من أجل العرب، حتى إن بعضهم اتهمها بأن كتابها ما هو إلا محاولة تلميع لصورة النبي!!! (ρ)، و هناك بعض المعلقين المسلمين الذين ذهبوا إلى ما ذهبت إليه صديقتي بالفعل كانت الآراء متناقضة بشكل غريب لكن عندما قرأت الكتاب توضحت الصورة، حين قرأت الكتاب بعيني مؤمنة بنبوة رسول الله (ρ) عارفة لسيرته الحقيقية شعرت بمدى جهل المؤلفة به، و بما جاء به رغم محاولتها للفهم، و كنت أحس بكثير من العبارات كمطارق على رأسي، ولم أتمالك أن أسأل نفسي _كما سألت صديقتي_ عمن تتحدث تحديداً؛ إذ بدا لي أني لا أعرف هذا الرجل الذي تتحدث عنه، فليس هذا نبيا حتماً،و لكن حين قرأته بعيني غربية قد لا تعرف شيئا عن هذا الرجل فإني أعجبت و احترمت هذا النبيل الذي أخرج قومه من جهلهم و شرذمتهم و تناحرهم و قادهم ليبني لهم حضارة احترمت شخصيته في سياقها التاريخي و في بيئتها المكانية، و لكني لن أفكر في الأمر أكثر من ذلك، و لن أبحث فيما كان يدعو إليه ربما شعور الغربي حين يقرأ الكتاب هو كشعوري حين شاهدت فيلما عن الملكة إليزابيث التي كرست نفسها لأمتها، احترمت و قدرت هذه السيدة في سياقها التاريخي فقط، و لن يصل الأمر إلى درجة البحث عن ما كانت تدعو إليه أو الإيمان بها أو جعلها مثالا يحتذى؛ إذ الأمر يبدو محلياً للغاية، أما إن قرأته بعيني غربي قد رُبي و غذي منذ صغره على تلك الصورة المشوهة له، فعندئذ ستكون هذه الصورة الإيجابية صادمة بالنسبة لي؛ إذ إني لم أعتد أن أسمعها ممن هو على ديني و ثقافتي، و سأسأل لماذا تحابي كارين المسلمين على حساب ثقافتنا الغربية .

حين سألتني صديقتي ثانية: ها ما رأيك هل تظنينه معنا أو ضدنا؟ قلت لها: ليست القضية معنا أو ضدنا، بل هو كما قال لنا أستاذ مادة الاستشراق مرة: "ينبغي أن تفهموا أن ما يكتبه المستشرقون إنما هو مكتوب بلغتهم و موجه لأناسهم و أنهم إنما يكتبونه ليخدموا أمتهم و شعبهم و يبنوا حضارتهم هم و بذلك لا يحق لكم أن تشتموا نتاجهم؛ إذ لا يحق لشخص غائب ميت أن يعترض على الطريقة التي يصورها به الآخر، إن لم تعجبكم صورتكم التي رسموها لكم فارسموا صورتكم بأيديكم و أروا العالم إياها، الصورة المغلوطة هي خطأنا؛ لأنا تركنا الآخر يتحدث عنا بدل أن نتحدث عن أنفسنا، لا تلوموهم إن كانوا يخدمون مصالحهم، بل لوموا أنفسكم إن ضيعتم مصالحكم و تركتموها لهم" لذلك لا يمكنك أن تقولي معنا أو ضدنا، فنحن ليس لنا وجود أصلاً، و هي حين كتبته لم تكن تفكر بنا، و إنما كانت تفكر كيف تأخذ بيد قومها ليفهموا الآخر بموضوعية أكثر"

لقد أحسنت الكاتبة حينما حاولت فك بعض الرموز التي تعتري كتابات آرمسترونغ ، والتي تجعل القارئ_ أحياناً_ في حيرة من أمره ، والسبب في ذلك أن هذا الكتاب موجه للغرب وليس للمسلمين .

المطلب الرابع : مقالة بعنوان :" كارين آرمسترونغ تكتب عن الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام "(140)

في هذه المقالة تحاول الكاتبة عرض أبرز المواضيع التي تحدثت عنها آرمسترونغ في كتابها بما يخص الأصولية في الديانات الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) مبينة أسباب في ظهور النزعات الأصولية، فتقول :"اهتمت آرمسترونج بالأصوليات، مشيرة إلى أن الأصوليات المتطرفة الثلاث تتشاطر قواسم مشتركة، فلم يكن لدى الأصوليين وقت للديمقراطية أو التعددية الحزبية، أو التسامح الديني أو الحفاظ على السلام أو الخطاب الحر، أو فصل الدين عن الدولة، وتقول كارين إن كل الأصوليين لا يهتمون بمسائل، مثل الديمقراطية والتعددية والتسامح الديني، لكنهم يميلون إلى الانخراط في نمط واحد، وهو الصراع مع الآخر الذي يعدونه حربا كونية بين قوي الخير والشر، وهؤلاء يستمدون أفكارهم من بعض النظريات الماضية ويقيمون لأنفسهم ثقافة خاصة مغلقة مضادة للثقافة السائدة في المجتمع الذي ينسحبون منه ولا يشعرون بالانتماء إليه، ولكي يحققوا أهدافهم المرضية يلجأون إلى العنف المسلح وإراقة الدماء والهدم والتدمير، ومن ثم يصبح المجتمع بالنسبة لهم كافرا ينبغي الخروج عليه وإعلان الجهاد ضده، لذا فكل الأصوليات تحارب وتقتل باسم الدين، بل تكافح حتى تدخل المقدس إلى عالم السياسة والنضال الوطني"

ثم تحدثت الكاتبة عن ما أوردته كارين فيما يخص أسباب ظهور الأصولية في القرن العشرين قائلة :" وفي سياق رصدها بزوغ ظاهرة الأصولية في القرن العشرين تشير إلى مقاومة الأصوليين المسيحيين- حقبة طويلة من الزمان- الاكتشافات العلمية الخاصة بعلوم الأحياء والفيزياء، وإصرارهم على أن كتاب سفر التكوين يبدو علميا في جميع تفاصيله، وأنه في الوقت الذي كانت فيه غالبية البشرية تلقي بقيود وأصفاد الماضي، أظهر الأصوليون اليهود مخزونهم من الحيل والمبادئ الدينية والخرافات والأساطير التي تمكنهم من إعادة سلطة الدين في الحصول على حقوقهم المهضومة على يد الغرب المسيحي، معتبرين أن قانونهم المقدس- الذي مارسوه بصرامة وتشدد- هو القانون الدولي الوحيد

(140)موقع الأهرام :كارين آرمسترونغ تكتب عن الأصولية في اليهودية والإسلام ، هبة عبدالستار ،1434/4/13هـ ، http://www.ahram.org.eg/NewsQ/132945.aspx

القابل للتطبيق، معتبرة أن الأصوليين المسلمين قد تبعوهم في ذلك في تحويلهم للقضية العربية- الإسرائيلية، من قضية دنيوية إلى قضية دينية خالصة".

وأوافق كارين في ذلك ،إلا أنها حينما تحدثت عن الأصولية الإسلامية فإنني لا أوافقها الرأي في، ذلك حيث وضحت أن الأصوليين المسلمين حولوا القضية الفلسطينية من قضية دنيوية إلى قضية دينية ، فالقضية الفلسطينية ليست مجرد قضية الدفاع عن وطن سلب من أبنائه ، بل قضية تهم جميع المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، فهي تمس جانب مهماً في دينهم ألا وهو الدفاع عن البيت المقدس الذي كان أول قبلة للمسلمين ومسرى الإسراء والمعراج ، فهي بالنسبة للمسلمين قضية دينية قبل أن تكون دنيوية ، ولأهمية بيت المقدس لدى المسلمين، فقد روي عن النبي (ρ) أنه قال :" لا تشد الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول (ρ)، والمسجد الأقصى "(141) .

ثم تحدثت الكاتبة على لسان كارين مبينة ما أحدثته الحداثة من صراع بين الأصوليين والعلمانيين ، فتقول :" وتصدم كارين قارئها حينما تبرهن له أن الأصولية ما قامت إلا دفاعا عن أقدس القيم التي تؤمن بها، والتي تعرضت للنزعات العدوانية من جانب قيادات الحداثة، وتعترف بأن المفكرين الذين استمتعوا بثمرات الحداثة ومنجزاتها- وهي منهم - يتعذر عليهم أن يتفهموا مدى الأحزان والآلام التي تثيرها الحداثة في نفوس الأصوليين؛ لأن التحديث لم يكن في كل أشكاله تحريرا وعتقا من التخلف والجهالة والخضوع لسطوة الماضي، ولكنه تحقق _كذلك _عبر هجوم عدواني على المقدسات الدينية، مرجعة اندلاع المعارك في سبيل الإله لمحاولة ملء خواء قلب المجتمع المؤسس على العقلانية العلمية، وأن المؤسسات العلمانية كان باستطاعتها_ بدلا من توجيه السباب إلى الأصوليين_ توجيه النظرة الثاقبة نحو ثقافتهم المضادة لفهمها" .

الخلاصة :

كانت هذه أبرز المقالات التي استطعت أن أتحصل عليها ، والتي عرضت ما قامت به آرمسترونغ من محاولة لفهم الإسلام والدفاع عنه وعن نبيه (ρ)، وتقديمها بصورة مبسطة لمجتمعها ، ومن خلال ما كتبته نستطيع استخلاص منهجها وآرائها الفكرية وهوما سيتم توضيحه في المبحث التالي .

(141)رواه البخاري : باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، ج2ص60، حديث رقم (1189) ، ورواه مسلم : باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، ج2ص1014، حديث رقم (1397)

المبحث الرابع : معالم منهجها و آرائها الفكرية

تهتم الكاتبة المستشرقة البريطانية كارين آرمسترونغ بعلم الأديان المقارنة كما هو واضح من سيرتها ، وقد جعلت جل اهتمامها في عقد مقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام) ، ومن ذلك أنها حينما رأت الحملة الشرسة على الإسلام ونبيه محمد (ρ) أرادت أن تمد القارئ الغربي بالصورة الحقيقية عن الإسلام وعن رسوله (ρ) بعد أن أصابها التشويه والتضليل وإلغاء الشبهات التي يثيرها الغرب .

وكان أبرز معالم منهجها وأرائها الفكرية تتمثل بما يلي :

1- **اتصافها بالعدل والإنصاف** ، وكان هذا من أهم الأسباب التي جعلتها تعكُف على دراسة الأديان، وخاصة الدين الإسلامي، حيث رأت ما يقوم به الصهاينة من جرائم ضد الشعب الفلسطيني ، وكذلك الحملة الشرسة التي يقوم بها الغرب تجاه الإسلام ونبيه محمد (ρ)،وخصوصاً بعد رواية سلمان رشدي (آيات شيطانيه) .

2- إتباعها أسلوباً علميا موثوقا ، وهذا ملاحظ من خلال سردها لسيرة الرسول (ρ)، وكذلك عند حديثها عن النزعات الأصولية .

3- تمتّعها بثقافة واسعة في مجال الأديان ، وقد لوحظ ذلك من خلال المعلومات التاريخية الكثيرة والقيمة .

4- اتسامها بالمصداقية بشكل كبير ، وقد برز ذلك من خلال شخصية الكاتبة وطريقة منهجها .

5- **اتصافها بالتحليل الجيد** ، وذلك حينما تقول عن سبب تكون الأصولية :" بدأ الأصوليون في أديان الوحدة الثلاثة ينسحبون من التيار الرئيس في المجتمع في منتصف القرن العشرين كي يخلقوا ثقافات مناهضة .."

6- إجادتها في ذكر أسباب عداء الغرب للإسلام ، حيث ذكرت أن ذلك يعود إلى أزمنه قديمة ، خصوصاً بعد الحروب الصليبية .

7- عَقْد كثير من المقارنات المنصفة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، وكذلك بين النبي محمد (ρ) وعيسى_ عليه السلام_ .

تقول آرمسترونغ :" كان محمد(ρ) يتمتع بمواهب سياسية عالية المستوى ، لقد حول ظروف قومه كلياً ، وأنقذهم من عنف لا طائل وراءه ، ومن انحطاط ، وأعطاهم هوية جديدة تدعو

إلى الاعتزاز بها ، وهكذا فقد أصبحوا على استعداد لتأسيس ثقافتهم الفريدة ، لقد فتحت تعاليم محمد(ρ) مخزونات كثيرة من الطاقة إلى درجة أن الإمبراطورية العربية امتدت من جبل طارق إلى جبال الهملايا خلال مئة سنة ، حتى لو أن هذه المأثرة السياسية كانت الانجاز الوحيد الذي قام به محمد (ρ) لاستحق أن ينال إعجابنا ، لكن نجاحه اعتمد على الرؤية الدينية التي أوصلها إلى العرب ، لم يُحرز محمد والمسلمون الأوائل انتصارهم بسهولة ،لقد خاضوا صراعاً عنيفاً ، ولو لم يأت الاهتمام بالدين في المقام الأول عند النبي وأصحابه لما بقي المسلمون على قيد الحياة "[142] .

8- ذِكْر الشبهات التي يثيرها الغرب ضد الإسلام، ثم الرد عليها ، ومن أمثلة ذلك قولها :" إننا ميالون إلى اعتبار أن يشق محمد(ρ) طريقه نحو السلام والسلطة أمراً فضائحياً وشريراً ، لقد اتُهم الإسلام بأنه دين السيف، دين تخل عن الروحانية الحقة بتقديسه للعنف وعدم التسامح ، وهذه صورة لاحقت الإسلام في الغرب المسيحي من العصور الوسطى، علماً أن المسيحيين كانوا في الوقت ذاته يخوضون حروبهم المقدسة في الشرق الأوسط ، في أيامنا هذه كثيراً ماتروج الكتب الشعبية والبرامج التلفزيونية عندنا نعوتاً، مثل :"غضب الإسلام " ،"سيف الإسلام " ، " السعار المقدس " أو " الرعب المقدس " لكن هذه ليست إلا تشويهاً للحقائق[143]كذلك ردها على الشبه التي تخص الجهاد ، والذي من خلاله اتهم الغرب الإسلام بأنه دين عدواني فتقول :" عندما يتهم النقاد الغربيون الإسلام بأنه دين عدواني في بنيته بسبب مفهوم الجهاد عليهم أن يأخذوا باعتبارهم لاهوت السلام عند محمد الذي أنزله الوحي بعد أن شق طريقه نحو الهدف، أي حين أصبح باستطاعته فرض السلام الإسلامي على الجزيرة العربية التي كانت تمزقها الحروب "[144].

9- ردُّها على الشبهات التي أثارها الغرب حول موضوع تعدد الزوجات في الإسلام ،تقول كارين آرمسترونغ :" يرى منتقدو محمد (ρ) الغربيون في هذا السماح بتعدد الزوجات نوعاً من شوفينية ذكورية محضة ، فالأفلام المعروفة مثل فيلم الحريم تقدم صورة سخيفة ومسطحة للحياة الجنسية التي يحياها الشيخ المسلم، وتكشف هذه الصورة عن الوهم الغربي

(142)الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق ، ص53.
(143)المرجع السابق،ص192 .
(144)الإسلام في مرآة الغرب ،، ص261.

أكثر مما تكشف عن الحقيقة "(145) هكذا أوردت آرمسترونغ هذه الشبه، ثم تولت الرد عليها بقولها : "أ- فنحن إذا نظرنا إلى السماح بتعدد الزوجات_ كما هو نصاً_ نجد أن المراد ليس تحسين الحياة الجنسية عند الذكور، بل كان جزءاً من تشريع اجتماعي ، كما أن مشكلات اليتامى كانت قد أقلقت محمداً منذ بداية حياته ، وتفاقمت بعد الوفيات في معركة أحد ، فلم يترك شهداء الحرب أرامل فقط، بل تركوا بنات وأخوات وأقارب آخرين بحاجة إلى رجل جديد.

ب- كان هناك نقص في عدد الرجال في الجزيرة ،مما كان يؤدي إلى بقاء نساء دون زواج ، وكن عرضة للاستغلال نتيجة ذلك في أغلب الأحيان ، لذا اهتمَّ القرآن أشد الاهتمام بهذه المشكلة، فلجأ إلى تعدد الزوجات كوسيلة لحلها ، لكنه أصر على أن بوسع الرجل أن يأخذ أكثر من زوجة شرط أن يعدل بينهن.

ج- علينا أن نرى الغاية من تعدد الزوجات في ظرفيته، ففي شبه الجزيرة في القرن السابع قبل الإسلام كان باستطاعة الرجل أن يقتني ما شاء من الزوجات فجاء الاقتصار على أربع في الإسلام بمثابة تحديد، وليس إجازة اضطهاد جديد "(146).

10- الرد على الشبهات التي تتعلق بموضوع حقوق المرأة في الإسلام ، تقول كارين:" غالباً ما يلوم النقاد الغربيون القرآن في تعامله مع النساء اللواتي يعتبرن أنداداً للرجال ، لكن في حقيقة الأمر كان تحرير النساء عزيزاً على قلب النبي .هناك شكاوى من أن القرآن يكيل بمعيارين مزدوجين ، فقوانين الميراث تنص على أن للذكر مثل حظ الأنثيين ، وهذا لأن على الذكر أن يقدم مهراً كي يبدأ حياة أسرية جديدة ، وفي الشهادة امرأتان مقابل شاهد ذكر ، وإذا ما تذكرنا أننا مازلنا ونحن في القرن العشرين نشن حملات مطالبة بحقوق للنساء مساوية لحقوق الرجال علينا ألا نرى هذا التشريع القرآني تحريمياً مانعاً ، بل كان ثورياً في القرن السابع، ينبغي أن نتذكر كيف كانت دورة الحياة بالنسبة للنساء في الفترة الجاهلية عندما كان وأد البنات متفشياً ، وليس لهن أية حقوق، كن مثل العبيد ، إن ما أنجزه محمد للنساء في عالم بدائي كهذا كان أمراً غير عادي ، فمجرد أن بالإمكان أن تكون المرأة شاهداً أو أن ترث أي شيء كان هذا أمراً مدهشاً حقاً قدمه محمد لها ، وينبغي علينا أن نتذكر أنه في أوروبا المسيحية كان على النساء الانتظار حتى القرن التاسع عشر كي ينلْنَ أي

(145)المرجع السابق ، ص222.

(146)انظر: الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق ، ص223.

شيء مماثل لما أعطاه الإسلام للنساء ، وحتى آنذاك كان القانون يميل لصالح الرجال كثيراً"(147) .

إلا أن العمل البشري مهما بلغ من الكمال لا بد له من النقصان ، وهذا ما لوحظ على منهج آرمسترونغ ، ويمكن إبراز أهم الملاحظات على منهجها وأراها الفكرية فيما يلي :

1- عدمُ التثبت في نقل النصوص ، وهذا قد ظهر في كثير من كتابتها حيث أنها تنقل الغث والسمين .

2- الخطأ في فهم بعض النصوص ، مثل قصة الوحي ، وكذلك حديثها عن الحجاب .

3- عدمُ اختيار عبارات مناسبة، فمثلا حينما أرادت أن تصف حالة الرسول (ρ) عندما نزل عليه الوحي وذهابه إلى خديجة رضي الله عنها قالت :" فعاد غريزياً إلى زوجته وهو في غمرة عزلته ورعبه، عاد إليها فجلس إلى فخذها مُضيفاً (ملتصقاً) إليها زاحفاً على يديه وركبتيه والجزء العلوي من جسمه يرتجف تشنيجاً ، ورمى نفسه في حجرها "زملوني زملوني " طالباً منها أن تحميه من هذا الحضور المخيف على الرغم من كراهية محمد للكهان الذين كانوا يغطون أنفسهم بعباءة عندما يقدمون نبوءة، فقد تبنى محمد(ρ) غريزياً الوضع نفسه "(148).

4- وصْفُ الرسول (ρ) بأنه كان سباباً لعاناً ، وذلك حينما ذكرت قصة الأسير الذي هرب من عائشة، ودعاء النبي (ρ) عليها أن يقطع الله يدها.

فقالت :" فعندما كانت عائشة في بداية عقدها الثاني طلب إليها محمد مراقبة أسير حرب فغفلت عنه، فهرب الرجل ، وعندما اكتشف محمد(ρ) ما حدث صاح بعائشة غاضباً: فليقطع الله يدك ، واندفع خارج غرفتها ليلاحق الأسير ، وبعد فترة أُلقي القبض على الأسير ،وعاد إلى البيت، فوجد عائشة كئيبة تحدق بيديها، فسألها إن كان ألم بها شيء أو إن مسها جني، فأجابته أنها تتساءل عن أي يد سيقطعها الله ، فتأثر محمد(ρ) واعتذر إليها في الحال، وأخبرها أنه سيدعو الله أن يبارك ويعفو عن أي امرئ سبق له أن لعنه أو دعا عليه "(149).

---

(147)الإسلام في مرآة الغرب ، مرجع سابق ، ص223.
(148)الإسلام في مرآة الغرب : مرجع سابق ، ص97.
(149)المرجع السابق ، ص212.

5- كان حديثها عن الرسول ρ يتمحور في كونـه مصلحاً اجتماعيا أكثر من كونـه نبيا مرسلاً من عند الله .

إذاً ممـا سبق يمكن القول إن المستشرقة آرمسرونغ قامت بجهد مميز، فهي أرادت من خلاله تصحيح المفاهيم التي روجها الغرب عن الإسلام ، وقامت بعرضها من خلال ذكر سيرة الرسول ρ حتى يتسنى للغرب التعرف على هذه الشخصية العظيمة التي طالما نالت أقلامهم وصحفهم منه ، استهزاء به، وحتى يقدروا إنجازاته العظيمة في خدمة الإنسانية .

كان عرضها بأسلوب واضح هادئ مؤثر على من يقرؤه ، وكانت ردودها قوية ومقنعة .

كما أنها عملت على ذكر أسباب ظهور النزعات الأصولية في كل من اليهودية والمسيحية والإسلام ، مما يدل على سعه اطلاعها وتمكنها في هذا المجال .

وإن اعترى منهجها بعض الأخطاء ،إلا إنه لا ينقص من الجهد الذي قامت بـه ، فلقد نطق الحق على لسانها فكانت حقاً شخصية منصفة تحدثت عن حقيقية الإسلام بغير استحياء .

خلاصة البحث :

كان هذا البحث دراسة لشخصية المستشرقة البريطانية كارين آرمسترونغ ، وقد جعلت عنوانـه " المستشرقةكارين آرمسترونغ ،وموقفها من الإسلام" ،وفيه تمّ التعرف على سيرتها الذاتية ، و بيان مكانتها العلمية وأسباب دراستها للأديان وأهم مقالاتها ومحاضراتها وأهم كتبها،و قد اتسمت هذه الشخصية بالحس العالي والمصداقية الواضحة من خلال دراسة كتبها، و ما كتب عنها من مقالات ، أبرزت معالم منهجها وآرائها الفكرية .

الخاتمـــة

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، فللّه وحده الحمد والشكر، والمنة أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الحملة المغرضة التي وجهها الغرب تجاه الإسلام و نبيه محمد ρ في محاولة لتشويه صورة الإسلام ونبيه ρ جعل آرمسترونغ تعكُف على دراسة الدين الإسلامي ، والكتابة

عنه بعد أن رأت أن الشرق الأوسط والإسلام بحاجة لأن يتم تقديمهما بالشكل الصحيح بعد أن لطخت المبالغات والتشويهات صفحات تاريخ الكتابة عنهما في الغرب .

أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي بفضل الله ومنّه:

1- إن ما يقوم به الإسرائيليون من اضطهاد للشعب الفلسطيني كان من أهم الأسباب التي جعلت آرمسترونغ تعكُف على دراسة الأديان .

2- الحملة التي يشنها الغرب تجاه الإسلام ونبيه ρ كانت سبباً في إقبال آرمسترونغ للتعرف على الإسلام عن قرب .

3- إن تاريخ عداء الغرب للإسلام قديم يعود إلى الحروب الصليبية .

4- الإعلام الغربي كان له دور فعال في تشويه صورة الإسلام .

5- الحداثة كانت من أهم أسباب ظهور النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام.

6- يتم نشر الحداثة بالعنف والقتل والدماء .

7- إن الأصوليين يستخدمون الدين ستاراً لإباحة القتل .

8- الحركات الأصولية ليست ارتداداً للماضي، بل هي حركات حديثة وتجديدية وعدوانية ومشوهة تفتقر إلى الرحمة .

9- موقف آرمسترونغ المنصف تجاه الإسلام ، جعل الغرب يتهمها بأنها عميلة للمسلمين.

التوصيات :

1- أوصي بإنشاء مركز يختص بمتابعة وإبراز جهود المستشرقين ممن وصفوا بالاعتدال .

2- أوصي الباحثين والكتاب بإعطاء صورة شاملة عن الإسلام وتقديمها للقارئ الغربي .

3- أوصي دعاة المسلمين بتكريس جهودهم في دعوة هؤلاء المستشرقين إلى الإسلام.

4- أوصي بإنشاء مشروع يقوم بتحقيق كتب المستشرقين .

المصادر والمراجع :

- ❖ الإسلام في مرآة الغرب : كارين آرمسترونغ ، ترجمة محمد الجورا ،ط2،(دار الحصاد : 2002م) .
- ❖ الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها : روجيه غارودي ، (باريس : دار عام ألفين ،2000م).
- ❖ الأعلام: خير الدين الزركلي، دار الملايين.
- ❖ تاريخ الطبري ، (دت) (دط) .
- ❖ تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق يوسف المرعشلي ،(بيروت : دار المعرفة) .
- ❖ جامع البيان في تأويل القرآن : الطبري ، المحقق: أحمد محمد شاكر ، ط1، (الرسالة : 1420ه)
- ❖ الدرر المنثور بالتفسير بالمأثور: السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر مصر.
- ❖ دلائل النبوة: للبيهقي، تعليق عبدالمعطي قلعجي دار الكتب العلمية .
- ❖ السلسلة الصحيحة ، (الرياض : مكتبة المعارف) .
- ❖ سنن أبو داود
- ❖ السيرة النبوية : لابن إسحاق ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، ط4(بيروت : دار الخير 1420ه) النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية و الإسلام : كارين ارمسترونج ، ترجمة محمد الجورا .
- ❖ السيرة النبوية: لأبي شهبة، دار القلم.
- ❖ شرح صحيح مسلم: النووي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط2.
- ❖ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، تحقيق حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم بن الأرقم.
- ❖ صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - 1407 - 1987، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- ❖ صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ❖ الطبقات الكبرى: ، (بيروت : دار صادر).
- ❖ فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر، تحقيق عبدالعزيز بن باز، دار المنار .
- ❖ فتح القدير: للشوكاني، دار الفيصلية .
- ❖ لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي، (بيروت :دار إحياء العلوم).
- ❖ لسان العرب : لابن منظور ، ط1 ،(بيروت :دار صادر) .
- ❖ مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية، (دط) و(دت) .

- محمد رسول الله ρ: عرجون، دار القلم .
- منهج النقد في علوم الحديث: نور الدين، ط3،(دمشق : دار الفكر) .
- النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام .
- نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط3.
- الهجرة في القرآن الكريم: احزمي سامعون جزولي ، ط1، مكتبة الرشد .

الإسلام في مرآة الغرب : سلمى الهلالي ، http://www.helali.net/salma/ar/books/islam.htm

التعريف بكتاب محمد نبي لزمننا لكارين آرمسترونغ : أحمد بوعود ، تاريخ 16/ 4/1434ه ، http://vb.tafsir.net/tafsir35233/#.VSElXfmsWjE

شبكة الدفاع عن السنة ،سر إهدار الخميني دم سلمان رشدي بتصرف ،http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=151733

موقع الأهرام :كارين آرمسترونغ تكتب عن الأصولية في اليهودية والإسلام ، هبة عبدالستار ،1434/4/13ه، http://www.ahram.org.eg/NewsQ/132945.aspx

موقع إسلام ويب : مركز الفتوى ، حكم الختان للذكور والإناث ، http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=4487

موقع الألوكة : كارين آرمسترونغ هل هي الأقرب إلى الاعتدال ، عبدالرحمن أبو المجد ، http://www.alukah.net/sharia/0/22282/

موقع الدرر السنية : حكم الختان، http://www.dorar.net/enc/feqhia/229

موقع أهل التفسير ، صادق جلال العظيم وسخافته المتنطعة في ذهنية التحريم : إبراهيم عوض ، http://vb.tafsir.net/tafsir36556/#.VSZlxvmsWjE

موقع قصة إسلام :كارين الراهبة الهاربة ، داليا يوسف ، http://forum.islamstory.com/

ويكيبيديا ، http://ar.wikipedia.org/wiki/